

الدكتور محمد رجب البيومي

حاجي خليفة وكشف الظنون

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي
عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة

* * *

يذكر اسم حاجي خليفة ـ عند اهلم العلم ـ مع اصحاب الموسوعات العلمية ذات الخطر الجليل من امثال: الخطيب وابن خكان والمقريزي وابن عساكر وياقوت، ومن حذا حذوهم من المؤلفين، وانت تجد لهؤلاء تراجم مبسوطة تذكر اخبارهم وتتحدث عن آثارهم ومواقفهم، ولكن يعوزك ان تجد لحاجي خليفة ما ينقع غلتك من الانباء!

وكان المظنون بصاحب خلاصة الاثر المهتمة بأعلام القرن الحادي عشر ان يتحدث عن مؤلف «كشف الظنون» كما تحدث عن معاصريه، ولكن نقص التراجم الخاصة بعلماء الاتراك في القرون الاخيرة مما تعانيه المكتبة الاسلامية، ويرجع ذلك الى امرين احدهما: ان علماء هذه القرون من التابعين لا المتبوعين، اذ ان اكثرهم كان ممن شمله داء العصر في التأليف العلمي، فصار قصارى جهده ان يلخص او يشرح او يختصر او ينقل، وقل ان يضيف الجديد، تجد ذلك لدى الاكثرية الكاثرة الا من ندر من اهل النظر المستقل.

اما الامر الثاني: فأكثر المخطوطات التركية ظلت الى الان مجفوة مهملة في الطبقات السفلى من دور الكتب في الاستانة وانقرة وغيرهما، ولم تجد بعد الثورة الكمالية من يعنى باحياء آثار السلف، بل وجدت من يصب عليها اللعنات ويصمها بالتأخر والانحطاط!

وهكذا ضاعت آثار أعلام فضلاء من المؤلفين، فتبع ذلك ضياع الكثير من انبائهم الا من تداركه الله بنباهة الذكر. وهم قليل!

واذا كانت الكتب كالرجال تشقى وتسعد، فان كتاب «كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون» لحاجي خليفة قد نال حظوة طائرة الذكر بين اولي العلم من الباحثين، فاسمه يتخايل كثيرا في صفحات الكتب، وبين مراجع الدارسين حتى اصبح حجة في التعريف بالمراجع والكشف عن المصادر، ومؤلفه بعد هذه الشهرة الرنانة جدير أن يعرف تاريخه، ويشتهر حديثه! ولكن اين!

لقد قضيت وقتا طويلا اسأل عن الرجل، فلا اجد من يزيد عن الاشارة الى مؤلفه كشف الظنون. فارد عليه بأن هذا الكتاب الموسوعي الجليل هو ما يدعوني الى البحث عن تاريخ صاحبه، وقد هدتني فراستي الشخصية الى ان ارجع الى المغفور له الاستاذ الامام الشيخ «محمد زاهد الكوثري» رضي الله عنه وكيل المشيخة الاسلامية ايام الخلافة العثمانية، وقد كان من افذاذ العلماء سعة اطلاع ودقة بحث وتنقيب، وطول معاناة واختبار.

فأخبرني ـ رحمه الله ـ انه كتب عنه المامة وافية منذ سنوات بمجلة الاسلام المصرية، ولم يعين العدد او العام، اذ كان يعاني من مرضه الاخير ما عاقني عن استيفاء الاجابة.

ولما كنت لا احتفظ بمجلة الاسلام، فقد اهتديت الى احد قرائها ممن يهتمون بجمعها وتجليدها في مجموعات سنوية، فعرضت عليه ان يبحث مشكورا عن مقالة الامام الكوثري! ولكن صاحبنا ضل طريقه اليها. اذ ان العنوان لم يكن حاجي خليفة، كما توقعت بل كان «كاتب جلبي» وهو لقب المؤلف الدال على وظيفته! ثم مضت سنوات عشر حرصت فيها على قراءة المقال حتى اهتديت اليه بالعدد الرابع من السنة السابعة الصادر بتاريخ ٢٣ من محرم سنة ١٣٥٧ هـ فكان فرحي به فوق الوصف، وقد دفعني مقال «الكوثري» الى تتبع بعض ما اشار اليه من مؤلفات الرجل حتى امكنني ان اعرف عنه ما استطيع به التحدث الى القراء.

ولد مصطفى بن عبدالله الحنفي الشهير بحاجي خليفة في بعض ايام ذي القعدة من سنة ١٠١٧ هـ.

وكان والده من رجال الجيش التركي المحاربين، فقيد ولده في سجل الجيش بفرقة «السلحدار» التي كان يعمل بها، راجيا ان ينهج ولده نهجه، فيأخذ سبيله الى الدراسة الحربية بعد ان يلم بأصول القراءة والكتابة والحساب جريا على عادة العصر من اختصاص ابناء

المحاربين باقتفاء آبائهم فيما يتداولون من المناصب والالقاب .

ولكن الناشىء الصغير لم يكد يلم بأصول الكتابة والاختزال ، حتى اسند اليه عمل كتابي باحدى الفرق العسكرية ، وكأني به قد عاف استكمال الدراسة الحربية قانعا بمنصبه الكتابي مستوحيا غريزته الدافعة الى الهدوء النسبي في ظلال الكتب والابحاث ،دون ان تجمح به الى ميادين المعارك الحمر ، ومنازلة الاقران وهو بذلك لم يبعد عن الحرب بعدا نهائيا ، بل ظل بمقربة من الجيش المتنقل في شتى الاصقاع العثمانية يقيم بمقامه ويرحل بارتحاله محتفظا بوظيفته الكتابية في القلم الحربي ! وقد هيأ له الارتحال المتكرر الى الشام والعراق والموصل ومكة ان يلم بأكثر البقاع الاسلامية ، وان يجالس كثيرا من اهل العلم فشغف حبا بالاطلاع ، وصمم على ان يشارك ذوي الثقافة الاسلامية ميولهم الدراسية ، فأخذ يجمع الكتب ويحفظ الاشعار ، ويتطلع الى افق رحيب !

وحين رجع الى القسطنطينية سنة ١٠٣٨ جعل من همه الالمام بدروس العلم في المساجد وكان الواعظ الاشهر الشيخ « محمد مصطفى » المعروف ب « قاضي زاده » ممن يملؤون الاسماع علما وبيانا ، وقد قسم وقته بين وعظ الناس في الحلقات العامة وتدريس العلوم للطلاب في الحلقات الخاصة حيث رزق من الفصاحة والاخلاص ما جعل دروس وعظة اثيرة لدى الطالبين ، فتهافت عليها الناس من كل صوب ، ونال اعجاب الملأ في قومه ، فأخذ حاجي خليفة يتردد على حلقاته الخاصة والعامة ، سائلا مسترشدا ، ولم يضن عليه الشيخ في شيء ، بل آنس لديه استعدادا ونباهة ، فأوصاه وهداه ، ودفع به الى دراسة القواعد العلمية في النحو والبلاغة والفقه والتوحيد!

وكان مقامه آنئذ بالقسطنطينية حافزا قويا على الدراسة والتحصيل ، ولكنه لم يلبث ان استدعى الى عمله الكتابي بقلم تفتيش السواري ففارق شيخه متألما الى فارس ، ومنها الى بغداد ومكة وديار بكر ثم الى حلب !

وفي حلب هذه عثر على دكاكين الوراقة ملأى بالكتب ، فكادت تستغرق جميع وقته اذ شاهد من المخطوطات ما يروع ويبهر فجعل من همه ان يتصفح كل مخطوط ، وان يكتب نبذا يسيرة عن موضوعه ومؤلفه مشيرا بايجاز سريع الى زبدة ابحاثه،حتى اجتمع له من ذلك عدة كراسات كانت نواة اولى لمؤلفه : كشف الظنون !

لم يكن حاجي خليفة يظن انه حين شرع يدون مذكراته عن الكتب الحلبية انما يبدأ عملا ضخما سيصبح منار الدارسين بعد حين ، بل كان يعتقد انه يعمل لنفسه وحده ، اذ يحصي اسماء المؤلفات يروقه ان يبحث عنها في مكاتب الاستانة حين يستقر به المقام عن قريب ، ولكنه حين رجع الى مقره وفاجأ اساتذته وزملاءه بما دون ، رآهم يعجبون بتلخيصه ، ويتناقلونه ، فصمم الكاتب على ان يدون نبذا خاصة بكل مؤلف يقع في يده ثم يضيفها الى مجموعته ، وظل قرابة عشرين عاما لا يني عن هذا الرصد الموفق حتى اكتملت موسوعته العلمية ، واصبحت مرجع الباحثين !

أفكانت المصادفة وحدها هي التي هيأته الى هذا الصنف من التاليف ليصبح سر خلوده في التاريخ ، وقد زار مدينة حلب مرافقا لاحدى فرق الجيش التركي فرجع صاحب منهج تأليفي وضعت بذرته في الارض واخذت تتكامل على مر الايام حتى تفرعت افنانها المزهرة عن كشف الظنون !

الحق اننا نقف امام كثير من الاعمال العلمية الجليلة حائرين فان موسوعة كشف الظنون قد نهض بها كاتب واحد في زمن متخلف فجاءت مثلا رائعا في بابها ، ونحن اليوم نرى في عصر المطبعة والتقدم العلمي دور الكتب المختلفة ، تؤلف لجانا متشعبة لاحصاء كتبها ثم لتدوين نبذة قصيرة عن محتوياتها ، لتطبع فهارسها في مجلدات تنشر بين الناس على نحو قريب مما نهض به حاجي خليفة في كشف الظنون ، اقول : ان هذه اللجان المتشعبة ذوات العدد من الباحثين تتمخض في النهاية ـ بعد سنوات عدة ـ عن عمل لا يقاس بمجهود فرد واحد كحاجي خليفة.

وتلك ظاهرة يطول لها العجب ، فانت تقع على اخطاء كثيرة في هذه الفهارس ذات اللجان المتفرعة ، فمؤلف لابن تيمية الجد ينسب الى ابن تيمية الحفيد ، ومؤلف للسخاوي الفقيه ينسب الى السخاوي المؤرخ وكتاب في الخطط الشامية يقال : انه خاص بالخطط المصرية الى امثال هذه الاعاجيب ! افتكون اللجنة العلمية من القصور بحيث لا تفي بمجهود عالم فرد ، ان ذلك ليدل على ان الوظيفة الرسمية لا تخلق الباحثين كما تخلقهم الرغبة الذاتية ذات الميل الحافز والصبر الدؤوب !

ولسنا نعني بذلك أن كتاب كشف الظنون قد خلا من الاخطاء، فان النقص البشري متوقع من كل انسان مهما حرص على الكمال وقد اشار الى ذلك الامام الكوثري حين قال عن الكتاب :

« وهو أوسع ما بأيدي الباحثين اليوم من الكتب المؤلفة في استقصاء ذكر المؤلفات في الاسلام ، وانفعها في بيان احوال الكتب وان كان لا يخلو من اغلاط في الوفيات واسماء المؤلفين كما هو شان من قام بنفسه بمثل هذه المهمة العظيمة المشكورة » .

وقد غمطه حقه المستشرق « هربلو » الفرنسي ، وعده جامع الغث والسمين ، مع ان هذا المستشرق انما يرتكن في كتابه (مكتبة الشرق) على كشف الظنون بل استمد جل ما في كتابه من هذا الكتاب ، ويوجد بين المستشرقين من ينصف ويناصر صاحب الكشف ضد ذلك المستشرق .

هذا وكتاب الكشف يتحدث عن نحو ثلاثمائة علم من

العلوم الاسلامية فيتكلم عن (١٤٥٠١) من الكتب وعن (٩٥١٢) من المؤلفين ، وكان ظهوره حدثا فريدا في عصره ، وقد شاء لاحقوه ان يتعلقوا بأذياله فكتبوا ملحقات خاصة بأسماء بعض الكتب التي أغفلها حاجي خليفة متتبعين طريقته في الايجاز الشامل المحيط . ومن هؤلاء : الشيخ ابراهيم الواعظ ، واحمد طاهر حنيف ، وشيخ الاسلام عارف حكمت ، وقد طبع ملحق الشيخ الواعظ مع الكشف كذيل له في الطبعتين المصرية والاستانية ، اما الكتاب الفريد حقا في تذييل الكشف فهو ما صبر على جمعه العالم البحاثة اسماعيل باشا البغدادي حيث استطاع في مدى ثلاثين عاما ان يصدر فهرسه الجامع مشتملا على التعريف بأكثر من ١٩٠٠٠ من الكتب التي لم يتحدث عنها حاجي خليفة ، وانا اعجب كيف بقي هذا العمل الضخم مخطوطا بمكاتب الاستانة الى الان ! وهو جهد يتطلب البعث السريع ، نشرا وتحقيقا ليمدنا بكثير مما نجهل من تراث الاجداد !

ومؤرخو الحضارة الاسلامية والثقافة العربية لن يؤدوا واجبهم الدقيق دون ان يهتدوا الى امثال هذه الفهارس النافعة ، والى ان تظهر هذه الذيول الضافية عن كتب السابقين ستبقى لكشف الظنون جدته الدائمة وسيظل المورد الاول لعشاق التراث العلمي من الباحثين.

والمتأمل في مؤلفات حاجي خليفة يجدها من الكثرة والتنوع بحيث تدهش وتعجب ، فقد كان الرجل يؤلف بالتركية والفارسية والعربية ، ويكتب في التاريخ وتقويم البلدان والفلك والسياسة والطب الروحي كتابة الباحث الملم في زمن لا يكاد يعرف التخصص ولعل طريقته التعليمية في دراسته الاولى هي التي تشعبت بميوله العلمية تشعبا شاملا ، فقد درس علوم التفسير والفقه والتصوف على استاذه العلامة الشهير بقاضي زادة ، ثم درس الاصول والمنطق والعروض وآداب البحث والمناظرة على استاذه العلامة « مصطفى الاعرج » واستمع الى علوم الحديث والبديع والبيان من « الالباني » ، والواعظ الكردي وهم اساتذة هذه العلوم بمساجد الاستانة ، ثم تصدر للتدريس في علوم شتى حتى جاءه التعيين سنة ١٠٦٧ هـ بعد خمسين عاما من حياته القصيرة بأعوامها الطويلة بما كتب وشرح وجمع وترك في المخطوطات والاذهان ! وقد قرا المغفور له الاستاذ حمزه طاهر استاذ اللغة التركية بكلية الآداب اكثر مؤلفات حاجي خليفة، وكتب عنه مقالا جيدا بمجلة الثقافة عدد ٥٧ سنة ١٣٥٨ هـ معلنا انه استمده مما كتب الرجل عن نفسه في غضون مؤلفاته الكثيرة ، ثم سجل في نهايته فهرس مؤلفاته التي وقع عليها ، ونحن نوجزها فيما يلي :

١ ـ « فذلكة التواريخ » وهو مختصر علمي لكثير من الاسر التاريخية ، قد اقتبس من مؤلف سابق للامير « جنابي » بعد ان اضاف اليه حاجي خليفة ما انقطع من الاحداث بعد زمان الجنابي الى زمانه .

٢ ـ حاشية على تفسير العلامة البيضاوي ونظن انها كمثيلاتها المعروفة .

٣ ـ شرح في علم الفلك لكتاب علي القوشي المعروف (بالمحمدية) .

٤ ـ تقويم التواريخ ، وهو جداول تاريخية من بدء الخليقة الى سنة ١٠٥٨ باللغتين الفارسية والتركية .

٥ ـ سلم الوصول الى طبقات الفحول وهو تراجم تاريخية للاعلام .

٦ ـ تحفة الاخبار في الحكم والاشعار ، وهو مختارات مجموعة من الاداب العربية والفارسية والتركية

٧ ـ كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون وقد جمعه في اكثر من عشرين عاما وبه طارت شهرته ورن صداه .

٨ ـ لوامع النور في ترجمة اطلس منيور وهو سرد لحياة احد ابطال الترك .

٩ ـ « جهانما » كتاب جغرافي لا يغفل الاحداث والتواريخ .

١٠ ـ الرجم الرجيم بالسين والجيم ، وهو يضم الفتاوى الدينية لاعلام عصره في امور الحياة والاحياء .

١١ ـ تحفة الكبار في اسفار البحار ، وهو يتحدث عن بعض الحروب العثمانية ونتائجها واعلامها .

١٢ ـ ميزان الحق في اختيار الاحق، وهو تراجم علماء عصره من الاتراك .

★

وبمراجعة اسماء هذه المؤلفات ، نرى الصبغة التاريخية تعمها فالرجل مولع بأحداث الزمان واعلام العصور يتحدث عنهم حديث المشاهد اذا راى وحديث الناقل اذا قرا ، ولن نكلف الرجل في زمانه وثقافته بأكثر مما يرتقب من مثله ! واذا لم تخل العصور السابقة من ذوي التحليل الادبي في كتابة التاريخ ، فهم من الندرة بحيث يجوز لنا ان نفترض لدى كل كاتب تاريخي ان ينهج نهجهم الكاشف في استخلاص العبرة وربط النتائج بالاسباب ، والغور المتعمق في استكناه الجذر العميقة ، او الطيران المحلق في رصد الذرى البعيدة ! لقد قرا الرجل فهضم ، ثم كتب فأوضح وجمع فأوعى وحسبه ذلك !

ولعلك تسأل عن سبب تلقيبه بحاجي خليفة مع ان اسمه الحقيقي « مصطفى عبد الله » واجابة على ذلك نذكر ان الرجل كان خليفة في قسم الكتاب، وهي الرتبة الثانية التي يعلوها رئيس الكتاب وحده ، وقد حج بيت

نجوى شهريار

شهريار يحدث نفسه حين كشفت لعينه خيانة جليلة :

لا آلآه شافية ولا الأرق فالى م تلك الآه والأرق
انا ساهر ، والليل عن كثب في شاسع يعدو ويستبق
اعلامه في كل مرتفع للارض ما تنفك تصطفق
وتطل عن طبق ثواقبه وحجابه من دوننا طبق
كم بيننا يا ليل من شبه صدري كصدرك ثائر حنق
وصفاتنا يا ليل واحدة وتوحدت من دوننا الطرق
من طبعك الابهام والقلق وبطبعي الابهام والنزق
وحيالك الاشباح راتعة وبقلبي الاشباح والقلق
قل لي اكان اساك عن سبب أم قسمة عرضت ام الخرق
متجهم القسمات منقبض والنجم في الجوزاء مؤتلق
كم انجم في الافق زاهرة وكانها في حسنها الحدق
والبحر دونك في جحافله ما انفك يجار وهو منطلق
احواضه الدنيا وما سمت من دونها الاهوال والفرق
وكانما الامواج عاصفة حمم من البركان تندلق
والدوح اطباق مكدسة للغيم لا تطوى وتفترق
اصداؤها همس تنص لها بالسمع اطياف وتسترق
احزاننا يا ليل واحدة من دونها الاكباد تحترق
ما كان امري عنك منكتما ومصيبتي فيَ عارها الفسق
انا ان سهرت فحاقد برم اضلاعه بالآه تحترق
جرح الخيانة غير مندمل ما غام افق او بدا شفق
ومرد حزنك ما رات ووعت عيناك ما نخفي ونختلق
في كل عصر ، لا تني زمر في غمرة الآثام تستبق
هيهات عهد عند غانية يرعى ، فكيف بعهدها تثق

دمشق

عدنان مردم بك

الله وجاور بمكة حينا فقيل له « حاجي خليفة » بمنطق الاتراك ! وقد غلبت عليه هذهالشهرة حتى انست اسمه الاول بعض الباحثين ، وان بقي خالدا في كتابه الذائع عن الاسامي والمؤلفات ! ذلك المرجع الذي جعله استاذ ذلك الفن في دنيا التأليف والمؤلفين.

المنصورة

محمد رجب البيومي



ايليا حليم حنا

الطريق إلى تحقيق الذات

بقلم ايليا حليم حنا

* * *

اتعرف كيف حقق كل عظيم ذاته ؟

تعمق في دراسة حياة العظماء تجد انهم جميعا كافحوا لابراز كفاياتهم الكامنة على افضل صورة تحركهم في هذا ميولهم الطبيعية، ولم ينظروا اطلاقا الى النجاح المادي في بدء رحلتهم في الحياة .

يقول علماء النفس ان الانسان يولد وله ملكات وقدرات وكفايات ، تلك الطاقات الكامنة النائمة اما ان تترك مطمورة او يعمل صاحبها على ايقاظها واطلاقها من قيودها. ويقول العالم النفساني (جون هومر ميلر) : بين بلايين البشر الذين عاشوا على وجه الارض والذين يعيشون لم يوجد ابدا شخص يماثلك تمام المماثلة ، لا توجد منك الا نسخة واحدة فريدة في امكانياتها .. لقد جاء الى العالم شيء جديد تماما يوم ولادتك . ويضيف الى هذا قوله ان ثقتك بنفسك ستزداد لو انك تذكرت هذه الحقيقة .

ويرينا (اسكندر جراهام بل) الدرب الذي يجب ان يسلكه كل انسان ليحقق لدنياه ما لم يحققه غيره فيقول: « لا تظل الى الابد في الطريق العام .. لا تذهب الى حيث يذهب الاخرون ... اترك الطريق المطروق من حين لآخر وتوغل في الغابات وتأكد انك ستجد شيئا لم تره من قبل ... اتبعه ... وسوف يقودك اكتشاف الى اكتشاف اخر ، ودون ان تدري ستجد شيئا جديرا بالتفكير فيه .. ان جميع الاكتشافات الكبيرة حقا هي نتيجة التفكير العميق الدائب » .

ولكن كيف يمكن ان نبرز افضل ما في اعماقنا ؟ كيف يمكن ان نفجر طاقاتنا الفريدة الكامنة ؟

ما من عظيم حقق ذاته الا بالانطلاق على سجيته ، يقوده ويلهب ظهره ميله القوي ، انه وهو في رحلة اكتشاف اعماقه لا يرى له قيمة في ذاته بل فيما يعيش له . يرى ان تحقيق ميوله الخلاقة هو رسالة حياته . وهو في رحلة تحقيق الذات يستعذب الصراع الجبار ، لا يشعر بالتعب او الارهاق العصبي بل هو سعيد وهو يبذل الجهود المضنية التي هي سبيله الى الهدف الكبير .

نرى اصراره على النجاح فنعتقد انه قد خلق وله الارادة القوية الايجابية الفعالة التي تمكنه من الكفاح العنيد الذي يبذله ، والحقيقة ان الذي يزوده بهذا الاصرار وهذه المثابرة ليست الارادة المجردة التي نظن انه يفرضها على نفسه قسرا بل هو ميله الطبيعي الكامن في نفسه .. هذا الميل هو الطاقة العجيبة التي تدفعه الى بذل المجهود ، وهو يستعذب هذا المجهود مهما كان عنيفا ومرهقا ، ميله القوي يمده بطاقة تستهين بكل المعوقات وتحطم كل العقبات .. الدافع ينبع من اعماقه فيستجيب لدوافعه كما لو كانت قوة خفية جبارة تسيره نحو الهدف دون تلكؤ او تسويف او ضيق او ملل . انه يبذل نفسه كلها في العمل الذي يقوم به ، ولهذا فانه لا يشعر كما يشعر اصحاب الميول الزائفة الذين يكرهون انفسهم على ما يقومون به ، والانسان الذي يعمل عملا لا يميل اليه ميلا حقيقيا انسان بائس فاشل لانه غير صادق او امين مع نفسه يخون مواهبه وملكاته فتتمرد عليه اعماقه لان في هذه الاعماق يكمن ميل اخر يرفض كل ميل دخيل .

ولكن كيف السبيل الى معرفة ما اذا كنت موهوبا حقا فيما تقوم به ؟ يقول الفيلسوف الانجليزي (برتراند رسل) : « هنا لبرهان واحد لا يخطىء وهو ان تسأل نفسك ـ ان كنت تريد ان تكون كاتبا مثلا ـ هل اكتب ما اكتبه لاني استشعر حاجة ملحة الى التعبير عن بعض الافكار والمشاعر ام لانني طامع في انتزاع التصفيق وعبارات الاستحسان ؟ ذلك ان الرغبة في انتزاع الاستحسان تكون عند الفنان الاصيل ، على شدتها وقوة بروزها شيئا ثانويا بمعنى ان الفنان يريد ان يضع اثرا ما ، وهو يرجو ان يحظى ذلك الاثر بالاعجاب ، ولكنه لا يغير اسلوبه ولو ضن عليه الجمهور بالثناء » .

لقد نجح من نعجب بعظمتهم واصبحوا من الخالدين

لانهم قاموا بالدور الذي خلقوا له . لقد اعانتهم طاقاتهم الكامنة وساروا في تيار قواهم الطبيعية الكامنة في أعماقهم .. كان ميلهم القوي هو الوقود الداخلي الذي تحول الى طاقة وعمل ... هذه الطاقة اكسبتهم الحماس المشتعل الذي لا يخبو مهما اعترضته العراقيل والصعاب . صاحب الارادة الضعيفة انسان تجاهل ميله واصطنع لنفسه ميلا لا ينبع من الاعماق ... هذا الانسان يزول حماسه بسرعة عندما تعترضه اول عقبة. والحماس عنصر هام في حياة الرجل الناجح ولا يمكن اصطناعه لانه يكون زائفا فاترا ان لم تنتجه الطاقة الكامنة التي لا تخمد الا بخمود جذوة الحياة نفسها .

اذن فالارادة الحية القوية التي لا تخمد هي الارادة التي تبعثها الميول الكامنة والقوى الطبيعية الضاربة في اعماق نفوسنا .. هذه الارادة هي ارادة العباقرة الذين ضحوا بكل شيء في سبيل اظهار ذواتهم الدفينة وتحقيق رسالتهم المنبعثة من الداخل والتي هي بذرة كامنة في النفس يرويها النضال والكفاح وتظهرها وتصقلها مغالبة الصعاب فتورق وتثمر .

ومن الخطأ ان نقول كما يقول اصحاب المدرسة القديمة ان الارادة يمكن تدريبها بمحاولة القيام بالاعمال والخبرات الصعبة ... قد يصلح ويثمر هذا التدريب ان كان وراء هذه الارادة ميل قوي يدفعها .. ان ما نسميه ارادة هو في الحقيقة تيار دافق قوي يبعثه الميل الداخلي الكامن . ان كل ارادة لا تستند على ميولنا الاساسية الكامنة الدافعة ارادة زائفة خائرة نقسر انفسنا عليها ولكنها سرعان ما تسقط وتذوب امام اول عقبة .

اننا ننجح ونحقق اهدافنا عندما تدفعنا ارادة تتدفق من ميولنا الداخلية الاصيلة ، وميولنا الكامنة الحقيقية تولد عشقنا للهدف والذات المثالية التي نتطلع اليها . والعاشق يعرف مدى استعذابه لكل الالام التي يستهدف لها في سبيل من يحب . والام الضعيفة في الحيوان تنازل اسدا لو تعرض لصغارها ، ولا تشعر بضعفها امامه ، ولا تعبأ بحياتها لان شيئا كامنا في نفسها يدفعها الى المخاطرة والاندفاع ، وهو الامومة وحبها الذي فطرت عليه لصغارها .

وهكذا استعذب الناجحون آلام الحياة ومصائبها وكوارثها ، واستعذبوا الجوع والحرمان والفاقة في سبيل انماء خصائصهم النفسية وابراز مواهبهم ، وكانت ميولهم الكامنة هي التي تدفعهم وتقوي عزائمهم وتنسيهم كل متعة الا متعة الكفاح لتبرز الفكرة الكامنة في النفس ويتحقق الهدف . ولم يكونوا ليقولوا لنفوسهم : كافحي وتجلدي، بل كانت النفس نفسها هي التي تولد الكفاح والتجلد لان شيئا ملحا قويا يريد ان يطفو من الاعماق ويبرز .

ان ارادة النجاح كامنة في نفس كل انسان ولا يظهرها ويجندها لخدمة هدفك وتحقيقه الا اكتشافك لنفسك — اكتشافك لميلك القوي الكامن فتعمل بقوته الدافعة ، وعندئذ تسير مع التيار الى الامام مكتسحا كل عائق ، ولا شيء يجرفك الى الخلف .

هذا هو الدرب الذي سلكه كل العظماء الذين اثروا دنيانا بما أنتجته عبقريتهم .. عرفوا ذواتهم وعرفوا دوافعها الجوهرية الاصيلة التي تكمن فيها وكان ميلهم القوي هو السوط الذي يلهب ظهورهم في درب النجاح ، فاتوا بالمعجزات ... لو تمكنت ان تعرف نفسك وتكتشف جوهرها مثلهم لوجدت انك اصبحت حديدي الارادة دون جهد منك تستحث به ارادتك .. ان ميلك القوي هو الذي يستحثها ، وعندئذ تستهين بكل شيء في سبيل ابراز القوة الكامنة في اعماقك دون ان تدفع نفسك من الخارج تقسرها قسرا .. وعندما تكون قوة الدفع كلها موجهة من الاعماق تشعر بلذة لا تعدلها لذة ، وانت تحطم الصخور التي تعترضك ولا تكل ولا تمل ولا تتبرم او تتوقف . انك عندئذ تكون كمن تدفعه قوة خفية لا حيلة له في صدها او كمن يسير مع تيار جارف عارم لا يقوى على التوقف وهو يجرفه .

ان كل ما ينتابنا من ضعف وقلق وملل وخوف وتردد وتسويف مرده الى ان الواحد منا لم يكتشف نفسه الحقيقية وميله الاصيل .. والميل الكامن محرك سحري يدفعك وانت مأخوذ بروعته وجماله وقوته .. فاذا توصلت الى ميلك الكامن فانك ترى انك تغيرت واصبحت مخلوقا جديدا فارقته كل ضعفات نفسه .

ان ميلك الاصيل قوة يتبدد عند ظهورها كل ضعف ، ان الذي يعمل ويفشل ثم تخور عزيمته انسان لم يعرف ميله الاصيل ، فان الذين يعرفون ميولهم الاصيلة يصبحون جبابرة يهزاون بكل ما يعترض سبيلهم وهم في طريقهم لتحقيق ذواتهم العليا التي يتطلعون اليها .. هذا هو الطريق الذي مر به كل عظيم .

القاهرة — ايليا حليم حنا

الأعمدة المحطمة

بقلم : الياس خليل زخريا

* * *

حطمها بيديه القاسيتين على معاصم الاقدار تحطيما .
قطع متراكمة في مداخل الزمن على قطع .
جذوع قديمة طمرتها الثلوج على جذوع .
قناطر تتفتح افواهها العالية البعيدة على فسحات قناطر .
اجنحة باردة خائفة حول مستنقعات الوهم بين المنطلق ومحط الرجوع .
نفحات هادئة من نفحات التأمل في ساعات التهافت .
راحات سخية تفتح بالوفاء مغامض الفكر بابا فوق باب .
قلوب تنتشي في السفوح بين السنديان والصنوبر والسحاب ، وبردة خضراء من اكمام الابد الاخضر .
ويا للعجب العجاب
كيف تسربت تلك الحكمة الخفية من بين الاصابع تسرب الطيب من القوارير الى مواقد المتعبد .
مراصد من مراصد الفكر معلقة بين الجوزاء والغمام وخيال الشباب والطفولة وصقيع العمر .
يحصد هنا في بيادر الشوق مع السنونو المسرعة ، ويزرع هناك مع الزارعين الذين رفعوا الارض على جباههم كأنهم عمالقة من عمالقة الكهوف المنسية .
يثب الوثبة في شموخ الانطلاق الى قبة ضائعة في معارج الانحدار .
شك يتلاشى في ظن الظنون .
وايمان يتجسد تجسد التمرد والنزوح ...
دنيا تضحك وتجر رداءها الى حيث يلتمع الضوء في حدقة المطاف الاعمى .
مناسك من مناسك الآجال حيث لا يهدأ الفكر فيطمئن ، ولا يرتوي القلب فيستقر ، ولا تعرف العين اين نافذة الرحيل ؟
يسافر في ذاته كأنه ذلك المجنون الجامح الذي تفلتت من يديه عقد عقله فعقدها على الوهم والشبح .
تهافت في مواسم القطاف على وليمة نفسه .
صلى فكانت صلاته تمتمات شفتيه .
تأمل فكان تامله انين جرحه وطموحه .
من هي هذه الخفية الفنية التي تتسرب كأنها حروف تتجمع في كلمات ، وكلمات تتجمع في فكر وتتهاوى كأجنحة الطيور المهاجرة الى الاعشاش المرصودة .
تيار يعتصر على تيار
عاصفة تتمسك بعاصفة .
سكينة تفتش بين الاندفاع والتلاحم عن عمق السكينة .
يغني في شبابه على شيخوخته كأن عمره مولد يومه ، وكأن سنواته دقائق من لهفاته وثواني معلقة بعقارب الميناء .
تسرع ولا يسرع
تدور ولا يدور
ترن ولا يرن
ويبقى وكأنه ذلك المتأله الاعمى بين المذابح ومباخر السفوح وحدود الظلمة .
كان ترابا فصار غناء
كان صخرا فصار حبات من الدم في حبات من المودة والمحبة .
بيته ضاق بالمحبة حتى اندفعت براسها من نوافذه تنادي الحي كما تنادي القوافل قبل الرحيل واحات الماء الصامت .
ما باله يكتب فلا يتعب قلمه !
ما باله يشد اصابعه فلا تتعب اصابعه !
رتاج موصد على اسراره وكنوزه
ما باله يفكر فلا يهرب به فكره !
ما باله يشتاق فلا يحرقه شوقه !
ما باله يعطي فلا تمتد انامله على تخومه يجمع جمعة المتحفز .
عجبا ... من قال ان خاتمة العمر هي خاتمة الحياة .
... هي اليقظة الدائمة في مشاعل العقل .
والموت ... ما الموت الا حكاية من حكاياته في مأساة دربه ، حيث لا تذبل شجرة ولا تنتثر ورقة ، ولا يجف المداد الا على النغم الساكن .
مرحى ... مرحى ...
لقد تحرر من قلادته
لقد انطلق كما ينطلق النسر بعينيه الاربع الى راس القمة ، ينظر ولا يرى ، يقتنص ولا يقتنص ، يعطش فيشرب من دمه ، ثم يضرب منقاره في شفة الشمس حتى يجف منها الضوء .
ويا اخت بيته ،

مرضُ النفس

عثرت رجله فهاج وماجـا	وتمادى على السمـاء احتجاجا
هـدّه الخوف فاستشار طبيبا	نال في الناس شهـرة ورواجـا
وكبـت نفسـه فظـل قريـرا	هادىء البال لا يحس اختلاجـا
لم يخف ان يثـور فيه ضمير	كيف يخشى من لا ضمير هياجا
يا صديقي حباك ربك عقـلا	فامتشقه على الظـلام سراجـا
مرض الجسم قد يداوى، ولكن	مرض النفس قد اضاع العلاجا

بوانس ايرس ـ الارجنتين

زكي قنصل

ها هو بيته كجزيرة الغربة في وهج الشمس .

على شفتيه نغم يتولد في نغم .

... نغمان اثنان كأنهما عين النسر المثناة تدنو اذا دنا ، وتتناءى اذا غرق في تبصره ومد جناحيه .

كل اغنية من اغانيه ، كل قصيدة من قصائده ، جناحان اثنان يرفان عى دائرة الفكر والخاطر ، ورماد القلب ، واذن تسمع من وراء المبهم صوت الحقيقة المختلجة في الجذور وفي اسوار القلاع . ونفس تسأل عن المفارق والارصفة وساحات الطمأنينة .

بيتان بيتان ، واكليل من الزوايا الراسخة المتصاعدة بأكتاف القناطر الى قبـاب الاجراس ومآذن المناداة ، وحلقات تتسامى وحدها بالضجر والوحدة والاقتحام .

وينام هذا الثلج الجليـد وحده على السحـاب والرياح ،

تختمر في بيـاض الثلج حتى تمتلىء الخـوابي والاباريق .

... لا تعطي الا اذا فتحت شفاهها بالشوق والرضى وحنين اللقاء ودفء الامومة .

تتلاحم الاغصان بالرياح العاصفة حتى لتخالهـا تنتزع نفسها من الارض انتزاعا .

وتهدأ فجاة الريح فتهدأ الاغصان وينطوي الظـل على الارض فتحات فتحات .

ويا بركة البركة .

ان الايمان فاصلة من فواصل الجموح في ملاحم العقل .

ويا فضيلة الفضيلة

ان قلبي وقلبك فلذات رنين على اعمدة محطمة .

ها هي يدي ، هاتي يدك ، نفتح معا بمفتاح الوحدة اقبية النهار .

لقد رأيته امس يخبىء في زاوية البيت كنزاً خفيا من كنوزك الثمينة .

كل قصيدة من قصائده بيتان وعنوان .

يحتسي بالشفتين .

يتأمل بالحدقتين

يصغي بالاذنين

يشتاق بضلعيه ضلعيه

ويا نعمة النعمة

لو لم تنبت الحكاية للسحاب في ملتف الغمام جناحين لغصت الارض بجفاف العطش .

... لولا مضايق الجزر لنام البحر في هدوء الماء والرمل البارد .

لكل هيكل بابان عاليان وقبة

لقد اختلست اهداب الشمس من عينيه شعاع الضوء .

ينطفىء الشعاع ولا تنطفىء البصيرة .

ويشيخ العمر ولا تشيخ حشاشة الذاكرة .

ويتمرغ العقل في بحيرة القلب تحت المطر والبرد والخوف وعياء الموج من طول السفر .

مقيم في الزاوية يفتح نافذته وحبائك ستائره واشرعة الرحيل الدائم .

لقد قرأ باسمك على اسمك الصلاة .

(مقدمة لديوانه الجديد « الاعمدة المحطمة »)

الياس خليل زخريا


عيسى فتوح

على هامش كتاب "الشعلة الزرقاء" أو (رسائل جبران الى مي زياده)

بقلم عيسى فتوح

* * *

في عام ١٩٥١ اصدر الدكتور جميل جبر في بيروت ، ولاول مرة ، رسائل جبران خليل جبران التي بعث بها الى اصدقائه الكثيرين المنتشرين في الوطن والمهجر ، فكان بينها سبع رسائل فقط كتبها لمي زيادة ، وقد تساءل الناس حينذاك : هل يعقل ان جبران لم يحرر لمي الا هذه الرسائل السبع طوال فترة صداقتهما الحميمة التي امتدت اثني عشر عاما (١٩١٤ ـ ١٩٢٥) وتحولت الى حب اسطوري خالد ؟ في حين ان جبران وهو في نيويورك ـ كان ينتظر رسائل مي ـ وهي في مصر ـ على احر من الجمر ، ويقول لها :

« ان يوما يجيئني منك برسالة واحدة ، لهو من الايام بمقام القمة من الجبل ، فما عسى ان اقول في يوم يجيئني بثلاث رسائل ؟ ذلك يوم اتنحى فيه عن سبل الزمن ، لاصرفه متجولا في ارم ذات العماد » (من رسالة مؤرخة في ١١ حزيران ١٩١٩) .

لقد ظل البحث قائما على قدم وساق لمعرفة مكان هذه الرسائل الباقية ، التي ستلقي حتما اضواء جديدة على حياة جبران ، وعلاقته الوطيدة بمي ، التي بادلته حبا بحب ، واعجابا باعجاب ، اما ما قيل عن علاقتها بالعقاد ، والرافعي ، وولي الدين يكن ، واسماعيل صبري .. فلم يكن يتعدى الصداقة العادية والاستلطاف ليس اكثر . ولذلك كان موت جبران في ٥ آذار سنة ١٩٣١ عاملا من العوامل الرئيسية التي اثرت في مجرى حياتها وانحرافها النفسي ، اذ اصابها بصدمة عنيفة ، وخيبة امل مريرة ، فاستسلمت لهواجسها ، حتى ادخلت مستشفى الامراض العقلية في بيروت (العصفورية) .

قيمة هذه الرسائل الوثائقية المفقودة دفعت السيدة سلمى الحفار الكزبري ، والدكتور سهيل بديع بشروئي ، استاذ الادب الانكليزي في الجامعة الاميركية في بيروت ، الى مواصلة السعي الدائب ، والتفتيش الحثيث عنها ، حتى عثرا على اربع وثلاثين رسالة مخطوطة في منزل ابن عمها الدكتور جوزف زيادة في بيروت ، كانت مي قد حملتها من مصر الى لبنان اثناء محنتها ، وحافظت عليها محافظتها على سر مقدس وكنز ثمين ، فقد كانت تصر على ان يبقى حبها لجبران مكتوما ، وكانت تعزيتها الوحيدة هي ان تستعيد قراءة هذه الرسائل من حين لآخر ، في ساعات وحدتها وخلوتها ، فهي ذكرى غالية لحب عاصف اجتاح قلبها ، وهي في الخامسة والثلاثين ، فدمره لانه كان حبا صوفيا ضبابيا ، لم يترجم الى واقع . لكن مي اعترفت لقرائها بوجود مراسلة طويلة بينها وبين جبران ، بعد انقضاء شهر على وفاته ، فقد نشرت مقالة في مجلة « الحديث » الحلبية لصاحبها سامي الكيالي عنوانها « جبران يصف نفسه في رسائله » ضمنتها فقرات قصيرة من بعض رسائله اليها ، وعبرت عن حزنها العميق عليه ، مصورة غربتها وغربته في الوجود بعبارات موجعة .

اما كيف وصلت هذه الرسائل الى ابن عمها المرحوم الدكتور جوزف زيادة ، فيبدو ان حالتها النفسية قد ساءت وتدهورت ، فكتبت له في ٢٨ ايلول سنة ١٩٣٥ رسالة مؤثرة ، وصفت فيها آلامها وتردي صحتها ، وطلبت منه الحضور الى مصر لانقاذها مما كانت تعانيه من عذابات نفسية ، معربة عن رغبتها في العودة الى لبنان:

« ... اني اتعذب شديد العذاب يا جوزيف ، ولا ادري السبب ، فانا اكثر من مريضة ، وينبغي خلق تعبير جديد لتفسير ما احسه فيّ وحولي . اني لم اتألم في حياتي ابدا كما اتألم اليوم ، ولم اقرأ في كتاب من الكتب ان في طاقة بشري ان يتحمل ما اتحمل . وددت لو علمت السبب على الاقل . ولكنني لم اسأل احدا الا وكان جوابه : لا شيء ، انه وهم شعري تمكن مني » .

« لا ، لا يا جوزيف . ان هناك امرا يمزق احشائي

ويميتني في كل يوم ، بل في كل دقيقة ... لقد تراكمت علي المصائب في السنوات الاخيرة ، وانقضت على وحدتي الرهيبة – التي هي معنوية اكثر منها جسدية – فجعلتني اتساءل : كيف يمكن عقلي ان يقاوم عذابا كهذا ؟ »

لقد لبى الدكتور زيادة طلبها على جناح السرعة ، لانه كان احنى الاقرباء كلهم عليها ، فمكثت اربع سنوات متنقلة بين العصفورية ومصح الدكتور ربيز، وبيت متواضع في بيروت استأجره لها اولئك الذين هبوا لانقاذها ومصيف الفريكة الذي استجمت فيه بجوار صديقها المخلص امين الريحاني ، فيحتمل ان تكون هذه الرسائل النفيسة قد بقيت في بيروت بعد عودتها الى القاهرة عام ١٩٣٩ ، وهي في حالة غير مرضية ، اذ عاشت بعد ذلك عامين مريضة ، بائسة ، رهينة منزلها ، الى ان توفيت في ١٩ تشرين الاول عام ١٩٤١ .

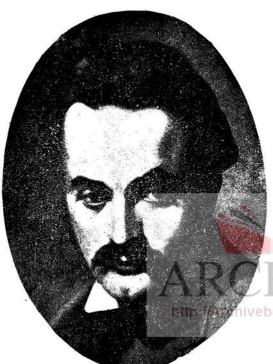
ويحتمل ان تكون هذه الرسائل قد عادت معها الى القاهرة ، ولما ماتت عثر عليها بين اوراقها الخاصة ومخطوطاتها ، فورثها نسيبها في جملة ما ورث من اشياء، وعاد بها الى بيروت مرة اخرى ، لتدفن من جديد ثمانية وثلاثين عاما ، حتى اتيح للسيدة سلمى الحفار الكزبري، والدكتور سهيل بشروئي ان يحققاها ويخرجاها الى النور.

عكفت السيدة سلمى والدكتور بشروئي على هذه الرسائل الوثائقية الهامة فحققاها تحقيقا علميا جيدا ، وشرحا في هوامشها جميع اسماء الاعلام التي وردت في متونها ، ووضعا لها مقدمة مسهبة القيا فيها الاضواء على الحب الخالد المتبادل بين جبران ومي ، ودرساها دراسة دقيقة تدل على فهمهما ، وقدرتهما الفائقة على التحليل والتعليل والاستنباط ، واختارا لها عنوان (الشعلة الزرقاء) الذي كان جبران قد رسمه لمي في اكثر من رسالة ، واتخذه رمزا لهذا الحب ، وتحدث لها عنه بقوله :

« هل بامكان الذات المقتبسة ، وهي من الارض، ان تحور وتغير الذات الوضعية ، وهي من السماء ؟ ان تلك الشعلة الزرقاء تنير ولا تتغير ، وتحول ولا تتحول ، وتأمر ولا تأتمر » .

يقسم كتاب الشعلة الزرقاء الى قسمين : القسم الاول – ٢٠٤ صفحات – ويضم الرسائل المطبوعة حسب تسلسلها التاريخي من عام ١٩١٩ الى عام ١٩٢٥ وفي اعلى كل رسالة تاريخ كتابتها ومصدرها ، اما بوسطن او نيويورك ، والقسم الثاني – ١٠٢ صفحة – ويضم الرسائل المخطوطة والصور والرسوم واللوحات والبطاقات البريدية التي كان يبعث بها الى مي ، بالاضافة الى رسمه الشخصي بقبعته الاميركية ولباسه الابيض، وكانت غايته من هذه الرسوم ان يعبر لها عن مهارته الفنية ، وان يسمو بذوقها الفني وهي تديم النظر الى ما تركه عباقرة الفن في العالم من آثار بالغة الجمال ، فيكتب لها تحت لوحة « المادونا » الخالدة :

« انظري ، ياماري ، ما اعظم ميكلانجلو . ان هذا الرجل الذي ابتدع من الرخام طائفة من الجبابرة يستطيع أن يكون عذبا حلوا حتى الدرجة القصوى . ما احسن حياة ميكلانجلو برهانا على ان القوة الحقيقية هي ابنة العذوبة ، وان اللين الحقيقي هو من نتائج العزم ،



واسعد الله مساء الوجه الحلو . جبران » .

هذه الرسائل الاربع والثلاثون التي تنشر لاول مرة على نفقة وزارة الثقافة بدمشق ، سوف تحدث صدى كبيرا في العالم العربي والمهجر ، لانها تلقي الضوء على جوانب اخرى من شخصيته كانت خافية على الذين تناولوها بالدرس والتحليل من قبل ، وتعرفنا بجبران الطفل ، والصديق ، والعاشق المتصوف وجبران المغترب المتيم بأرضه واهله ، وجبران الرسام والمفكر ، والكاتب العبقري الذي ضحى بصحته وحياته ، واستعذب التعب والارق ، في سبيل تأدية رسالته الفكرية والفنية التي كان يؤمن بها ايمانا عميقا ، فالرسائل تستطيع دراسة الكاتب اكثر من مؤلفاته .

والسؤال الذي لا يزال يبحث عن جواب حتى الان : اين رسائل مي التي بعثت بها الى جبران بالمقابل ؟ وليس بين رسائلها التي نشرها الدكتور جميل جبر سنة ١٩٥٤ (طبعة ثانية) الا خمس رسائل منها فقط ؟ هل هي باقية

حتى الآن ، مدفونة في مكان ما في بوسطن او نيويورك او غيرهما ؟ او ان يد البلى قد عبثت بها ، فمزقتها او احرقتها ؟ وهل كان لماري هاسكل التي احتضنت جبران دور في اخفاء هذه الرسائل ، وهي التي حضرت وفاته ؟ كيف استطاع جميل جبر التوصل الى هذه الرسائل الخمس اليتيمة ؟

لقد وعدت السيدة سلمى الحفار الكزبري ان تواصل البحث عن رسائل مي الاخرى الضائعة ، وعن رسائل جديدة لجبران لم يسبق نشرها ، وسوف تسافر الى الاميركتين لهذا الغرض ، لعلها توفق في العثور على رسائل ووثائق جبرانية ، تحتاج الى من يكشف عنها النقاب .

وكان المرحوم المطران انطونيوس بشير ، صديق جبران ومترجم كتبه الانكليزية الى العربية ، قد حدثني في مقابلة نشرت في العدد ثلاثين من مجلة « المعرفة » السورية عام ١٩٦٤ عن رسائل كثيرة لجبران في حوزة السيدة ماري خوري ، التي كانت على صلة وثيقة بجبران ، ومعرفة بخصوصياته ، ولا ادري ما اذا كانت هذه السيدة لا تزال على قيد الحياة حتى الان .

قد يتساءل القارىء بعد اطلاعه على هذه الرسائل الطافحة بالحب والشوق ، لماذا لم يكتب لهذا الحب ان يتحقق ؟ لماذا لم يجرؤ احد المحبين العاشقين ان يملك زمام المبادرة ، فيزور الاخر ، بالرغم من وعود جبران المتكررة بأنه سيحضر الى القاهرة ؟ لماذا لم يلتقيا في مكان ما من اوروبا مثلا ، وقد زارتها مي وزارها جبران ولكن على غير اتفاق ؟

الواقع ان مي ، وهي الفتاة الشرقية المحافظة المعتدة بنفسها ، كانت تانف ان تذهب للقاء جبران ، وتأبى ان تسعى اليه برخص . كانت تريد ان يسعى هو اليها طالبا يدها ، فاذا فعل فلن ترفض الزواج منه ، الا ان جبران لم يقدم على شيء من هذا ، لانه كان مترددا في الزواج خائفا ، لانه سوف يحد من حريته وانطلاقته كفنان يكره القيود ، ويهوى التمرد ، بالاضافة الى انه كان عليل الجسم ، مهددا بداء الصدر الذي مات به معظم أفراد اسرته .

بعد هذا الجهد المشكور الذي بذله المحققان في اخراج هذه الرسائل ، كنت اود لو دققا اكثر في الرسالة التاريخية الهامة التي بعثت بها مي الى جبران في ١٥ كانون الثاني سنة ١٦٢٤ ، وباحت فيها بحبها المضطرم ، وصرحت بما كانت تخشى ان تتلفظ به من قبل .

هذه الرسالة الفريدة ، التي اعتمدا عليها بنوع خاص ، هي اجمل ما كتب في تاريخ الادب العالمي من رسائل الحب والشوق ، سأثبت قسما منها في هذه الدراسة ، واضعا الكلمات والعبارات التي اسقطها الدكتور جبر بين قوسين ، وهي منشوره في كتاب « رسائل مي » الطبعه الثانية صفحة ٦٨ ، مستغربا منه هذا التشويه ، وكان قد فعل مثل هذا في الرسائل المتبادلة بين جبران وفيكس فارس في كتاب « رسائل جبران » ، في حين تقتضي الامانة العلمية منه ان يكون اكثر تدقيقا في النصوص ذات القيمة التاريخية الهامة ، والرسالة طويلة نشرها مارون عبود في كتابه (جدد وقدماء) صفحة ١٣١ ، واستغرب كيف لم يرجع احد منهم اليها ؟

تقول مي في رسالتها المذكورة : « ... جبران ! لقد كتبت كل هذه الصفحات (ضاحكة لاتحايد قول انك محبوبي) لاتحايد كلمة الحب . ان الذين لا يتاجرون بمظهر الحب ودعواه في المراقص والاجتماعات (ينمو) الحب في اعماقهم قوة دينامية رهيبة ، قد يغبطون الذين يوزعون عواطفهم في اللالاء السطحي ، لانهم لا يقاسون ضغط العواطف التي لم تنفجر ، ولكنهم يغبطون الاخرين على راحتهم دون ان يتمنوها الى نفوسهم ، ويفضلون وحدتهم ، ويفضلون السكوت ، ويفضلون تضليل قلوبهم عن ودائعها ، والتلهي بما لا علاقة له (بالقلب) والعاطفة . يفضلون اي غربة واي شقاء — وهل من شقاء وغربة في غير وحدة القلب ؟ — على الاكتفاء بالقطرات الشحيحة .

ما معنى هذا الذي اكتبه ؟ اني لا اعرف ماذا اعني به ، ولكني أعرف انك محبوبي ، واني اخاف الحب (اني انتظر من الحب كثيرا ، فأخاف ان لا يأتيني بكل ما انتظر) اقول هذا مع علمي بأن القليل من الحب كثير (ولكن القليل في الحب لا يرضيني) الجفاف والقحط واللاشيء في الحب ، خير من النزر اليسير .

... حتى الكتابة ألوم نفسي عليها احيانا ، لاني بها حرة كل هذه الحرية ... أتذكر قول القدماء من الشرقيين : انه خير للبنت ان لا تقرا ولا تكتب (ها قد صدق علي ارتيابهم ، وصدق فيّ سوء ظنهم . لا تقل) ان القديس توما يظهر هنا ، وليس ما ابدي هنا اثر الوراثة فحسب ، بل هو شيء ابعد من الوراثة ... » .

هل هذا تحقيق وامانة في النقل ؟ والا فما معنى ان يستبدل الدكتور جبر عبارة (خير ما فيّ يظل حائما حواليك) بعبارة (خير ما يفعل هو ان يظل حائما حواليك) واي قارىء عادي يمكنه ان يدرك فرق المعنى بين الجملتين ، ويلاحظ متانة السبك في الاولى وركاكته في الثانية .

حبذا لوعاد الدكتور جميل جبر الى رسائل جبران ورسائل مي فحققها تحقيقا علميا جيدا بنشر النصوص مطبوعة ومخطوطة ، كما فعلت السيدة سلمى الحفار الكزبري ، والدكتور بشروئي ، ليطمئن القارىء الى ثقة ما يقرا ، والكاتب الى ثقة ما ينقل .

(١) منشورات وزارة الثقافة بدمشق ١٩٧٩ .

(٢) وردت ينمي .

دمشق — عيسى فتوح

نقوش أخيرة في سراديب الذاكرة

*

(الى سر بور شاكر السياب)

*

حسين علي محمد

*

القــاهرة



اني احمل في القلب حكايا وتراتيل
وباقة اشعار خضراء
وتغريدة عصفور
اطلقها في افيائك يا ((لندن))
حتى تسكب موسيقاها
في شريان الشجرة ((اقبال))
ويهدر قلب اخضر :
عاد يغني ، يمشي
مرفو عالهامة
يطرق ابواب الفجر
ويجلس مع اصحاب صباه مساء
قدّام الدار

وانت (بؤيب) حزين

قل لي : لم لا تثمر اشجار حدائقك اليابسة
لماذا لا ينطلق العصفور بنار الوصل
ويحرق تذكارات ((الاقنان))
التعسة والحلوة ؟

* * *

اني ابصر انثى
تعطيني شجر الماء
وتخرج من هذا الصدر الضخم ثمار الوعد
وتخرج من ذاكرتي رعب سنين الثلج
وبضع اهازيج بضمخها العتمة

* * *

ليتك يا (اقبال) تجيئين
فاني امسك بزمام اللحظة
استحضر اياما انهكها التجوال
وضاعت !
افتح دفتر لحظتنا
فتضيء النخلة
تمنحني رطب (البصرة)
والافيال القش يعودون
فمهما كانت قوة ابصار الجدة (ميدوزا)
فاللحظات الفظة لا تتحجر في الذاكرة مساء
او تمضي
بل تبقى تيارا
يعقد بين اللحظة والقلب الطيب برباط
ينسرب الى المستقبل
في شريان القلب
ويصنع حلمي
في القادم من عمري
وبدون الم

"الكندي" المصري

بقلم الدكتور احمد الحفناوي

مدرس التاريخ الاسلامي بجامعة المنوفية

* * *

هاجرت قبيلة « كندة » الى « حضرموت » بعد غزو الاحباش « لليمن » ، وظلت كذلك حتى ظهر الاسلام وانضمت الى الدين العظيم الذي بعث به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، وجمع به شمل العرب وكانت في مقدمة الحركة الزاحفة لفتح دولتي الفرس والروم .

اندفعت بعشائرها وبطونها في معركة الفتح، ولما بدا عهد الاستقرار راينا عددا كثيرا منهــا يستقر في : الشام ومصر وبرقة .

وحفل تاريخ مصر ــ في صدر الاسلام ــ بعدد كبير من اهل كندة تفوقوا في السياسة والحرب كما اسهموا في الحركة الفكرية بنصيب كبير ، لقد اتى الكنديون الى مصر واقاموا بها وظل اثرهم قويا حتى القرن الثالث الهجري ...

والحق ، ان الذي يعنينا من بين عشائر كنــدة العديدة عشيرة واحدة هي « تجيب » التي انجبت مؤرخنا « ابا عمر محمد بن يوسف الكندي » .

استقرت غالبية تلك العشيرة في (تمي الامديد ــ دقهلية) وفي (البدتون ــ بحيرة) (١) ، بعد استقرار العرب في مصر ، وقد انفعلت بالاحداث التي مرت بالدولة الاسلامية بوجه عام ، ــ شانها في ذلك شان القبائل العربية الاخرى ــ وباحداث الفتنة التي ادت الى مصرع الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه بوجه خاص، وكانت اغلبيتها من الثائرين عليه ، مما ادى الى ان انتهى الامر باهل مصر ان اصبحوا من شيعة علي كرم الله وجهه، وتتحدث المراجع المختلفة عن اثر « التجيبية » في العصر الاموي ، وما كان من معاوية بن ابي سفيان الذي انتزع مصر من سلطــان علــي ، وانتقــم من اهلهــا وقتل ثمانين من تجيب ، وعلى الرغم من ذلك فقد ظلت « تجيب » ــ في معظمها ــ محتفظة بميولها العلوية ، ولم يكد « ابن الزبير » يظهر حتى اشتركت قبائل مصر ومن بينها « تجيب » مع « ابن جحدم » والي مصر من قبل « ابن الزبير » ضد « مروان بن الحكم » ، وكذلك استمر نشاط « التجيبية » في الاحداث السياسية في مصر في العصر العباسي الاول .

وبقرار « المعتصم » العباسي اسقاط العرب من الديوان فقد « التجيبية » خاصة والعرب عامة ذلــك الوزن السياسي الذي حافظوا عليه منذ الفتح ذلك ان الدولة عمدت الى استخدام الترك في قواتها المسلحة ، فانصرفت الكثرة من القبائل العربية في مصر الى الريف المصري تستقر فيه وتمارس الزراعة او التجارة وتختلط بالمصريين .

وتكشف كتب التراجم والطبقات عن ان «التجيبيين» كان منهم كثيرون من اعلام مدرسة الفسطاط المصرية : محدثين وفقهاء وقضاة ، وكذلك رواة وشعراء : امثال: سليم بن عنتر ، قاضي مصر (٧٥ هـ) ، وحرملة بن يحيى الفقيه الكبير (١٦٦ ــ ٢٤٣ هـ) ، ومحمــد بن مسروق (٧٧ ــ ١٨٤ هـ) (٢) ، وعبد ربه بن خــالد ، من الرواة (٢٥٩ هـ) ، وسعيد بن شريح من الشعراء .

والمؤرخ الكندي هو : ابو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب بن حفص بن يوسف التجيبي الكندي المصري وقد ظن ابن خلكان انه قد يكون حفيدا للفيلسوف الكندي الذي عاصر المأمون العباسي والمتوفي سنة ٢٦٠ هـ، ولكن الحقيقة ان الكندي الفيلسوف لم يكن من « تجيب » وانما من عشيرة اخرى من عشائر كنــدة التي استقرت في العراق .

وقد ولد الكندي المؤرخ سنة ٢٨٣ هـ وتوفي سنة ٣٥٠ هـ ، وهو ينحدر من عشائر كندة التي تدفقت على مصر ــ بعد الفتح الاسلامي لها ــ وشاركت في احداثها السياسية وائرت في حياتها الثقافية والاجتماعية على نحو ما عرضنا ، كما انه من ذلك الجيل من العرب الذين عاشوا في مصر في اواخر القرن الثالث الهجري وخالطوا اهل البلاد الذين دخلوا في الاسلام وبداوا يحسون انهم يمتون باوثق صلة لهذه الارض التي عاشــوا فيها هــذا الدهر الطويل ، وانهم فوق تشبثهم بانسابهم العربية يتمسكون بنسبهم المصري ، يظهر هذا واضحا من شواهد هؤلاء العرب الذين دفنوا بمصر ثم من لقب المصري الذي يحرص عليه الكندي كل الحرص على سبيل الاعتزاز والفخر .

لقد عاش الكندي سبعا وستين سنة ، تأثر خلالها ــ بلا شك ــ بالاحداث السياسية التي سمع بها وليــدا وعاصرها شابا وشيخا الى ان قبض، وقد شهد هذا العصر ــ الذي عاشه الكندي ــ مرحلة تدفق القبائل العربية على مصر وتمركزها في الصعيد الاعلى الى جانب تمركزها

في بعض المدن المصرية ، ولم يكن البيت الذي ولد فيه مؤرخنا من العرب الذين رحلوا بعيدا عن الفسطاط ، ولكنه فضل اتخاذها — اي الفسطاط — دارا ومقاما ونعم بما وفره الطولونيون للبلاد من هدوء واستقرار .

والقرن الثالث الهجري يمثل في مصر بداية النهضة الفكرية التي شملت المدارس الاسلامية كلها ، فالدراسات الفقهية قطعت شوطا ابعد مما قطعته فيما سبقه من عصور ، كما ازدهرت الدراسات اللغوية على يد : الوليد ابن محمد التميمي النحوي المعروف بولاد سنة ٢٦٨ هـ.

وكذلك ظهرت الدراسات التاريخية على يد : الطبري والبلاذري متسمة بطابع اهل الحديث من الدقة واثبات السند والتحرج في الرواية . لقد شاعت الثقافة في مصر كلها ، وظهرت مراكز اقليمية فوق المدارس التقليدية — في الفسطاط والقطائع والاسكندرية — ساهمت في هذه النهضة الفكرية اتي لم تتوقف بعد الطولونيين ولكنها استمرت ايضا في عصر الاخشيديين .

في هذه البيئة وفي تلك الظروف ولد محمد بن يوسف بن يعقوب سنة ٢٨٣ هـ في بيت ، اختار الاقامة في الفسطاط ، وساهم بنصيب في الحركة العلمية وتفوق افراده في علوم القرآن والحديث فنرى عمه : الحسين بن يعقوب يشتهر برواية الحديث كما نرى ابنه عمر يبرز بتأليف كتاب « فضائل مصر » فيأمر بجمعه كافور الاخشيدي .

اقبل الكندي على حفظ القرآن ثم على دراسة علوم الحديث شأنه في ذلك شأن اترابه من العرب الذين نشأوا في الفسطاط ، ولما ذاعت شهرة الفسطاط وارتحل اليها كثير من طلبة العلم ، ارتحل اليها ايضا النسائي الفارسي المحدث المعروف بتأليف واحد من الصحاح الستة والتقى بمحدثيها ، وقد التقى به الكندي عندما جاء الى الفسطاط للمرة الثانية ، وكانت سنه وقتذاك سبعة عشر عاما، وتأثر الكندي بميول النسائي العلوية ، بالرغم من اختلافهما في المذهب فالنسائي كان شافعي المذهب اما الكندي فقد كان حنفي المذهب .

ولا نعرف السن التي بلغ فيها الكندي درجة النضوج الفكري وانتهت تلمذته ليبدأ انتاجه وتدلنا الدراسة الدقيقة لحياته على انه بدأ بالحديث علما ورواية وانتهى بكتابة التاريخ وهو في هذا شأنه شأن ذلك الجيل من المؤرخين الذين ظهروا في الحياة الاسلامية في القرن الثالث واول القرن الرابع الهجريين ، واشتغلوا بالحديث والتفسير وعلوم القرآن مثل : ابن عبد الحكم والطبري والبلاذري وغيرهم ، يضاف الى ذلك ان الكندي قضى حياته كلها في مدينة الفسطاط دار علم الحديث وروايته، حتى انه لم يرو انه غادرها في حياته ابدا بل مات فيها ودفن في مقابرها ولا ننسى ان القرن الثالث — في مصر بوجه خاص — هو العصر الذي وضعت فيه اصول علم الحديث ونقده واستخلاص السنن ، ورحل الى مصر اصحاب مجاميع الحديث : البخاري ومسلم والنسائي ، ونقلوا روايات المصريين امثال : خالد بن حميد الاسكندراني (٩٦١ هـ) وخلاد بن سليمان الحضري (٨٧١ هـ) ، وقد وردت اشارات عديدة في كتاب «الولاة» عن المجالس التي كانت تعقد لكتابة الاحاديث وقراءتها ونسخها .

وواضح ان « الكندي » الى جانب مكانته في علوم الحديث ، كان كلفا بالشعر وروايته ، وقد ضمن كتابه « الولاة والقضاة » مختارات كثيرة من اشعار ذلك العصر ان دلت على شيء فانما تدل على انه كان رجلا ذواقة يستسيغ الشعر ويورده ، لما له من قيمة تاريخية خاصة.

على ان الجانب الذي نهتم به من حياة الكندي ليس اشتغاله بالحديث او روايته للشعر ونقده اياه وانما اشتغاله بالتاريخ والمكانة العظيمة التي احتلها بين مؤرخي مصر الاسلامية .

لقد كان عارفا بأحوال الناس وسير الملوك ، كما كان من اعلم الناس بمصر وبأهلها وثغورها ، وله مصنفات فيها وفي غيرها من صنوف الاخبار والانساب وكان من جملة اهل العلم بالنسب عالما بعلوم العرب ، وهذا يدفعنا الى التعرض للآثار التي تركها في المكتبة التاريخية ، فلقد انتج تراثا تاريخيا ضخما يضعه في المحل الاول بين المشتغلين بالتاريخ الاسلامي في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، من هذا التراث كتب اشار اليها اللاحقون عليه بالاقتباس منها، ثم ضاعت فلم يصلنا منها شيء يذكر واخرى وردت عنها اشارات مماثلة عند بعض المؤرخين ولكن لا نعرف اسماءها على وجه التحديد . ثم مؤلفات ما تزال باقية بين ايدينا حتى اليوم ناطقة بذلك الجهد المضني الذي بذله في اعدادها ، ومن المؤلفات التي نعرف اسماءها ولكنها ضاعت ولم يصلنا منها شيء :

١ — كتاب الاجناد العربية : واشار اليه « ابن دقماق » ، « الانتصار » عند حديثه عن جامع عمرو بن العاص سنة ٨٩ هـ كما اشار اليه المقريزي في الخطط .

٢ — اخبار مسجد اهل الراية الاعظم : واشار اليه المقريزي وابن دقماق ، وهو يعرض للجامع العتيق ، جامع عمرو بن العاص .

٣ — الخطط : وذكر المقريزي في خططه : ان الكندي كان اول من كتب في الخطط والاثار ويبدو ان ما ذكره المقريزي عن معبد سمنود قد نقله عن الكندي .

٤ — سيرة السري بن الحكم : وقد وردت في تراجم المقفى .

هذا ويذكر المؤرخون للكندي انه الف كتبا اخرى لا نستطيع ان نتحقق من عناوينها على وجه الدقة ، فقد اشار ياقوت في « ارشاد الاريب » الى كتاب للكندي في

التاريخ يبدأ به سنة ٢٨٠ هـ ولم ترد اليه اشارة في مؤلفات الكندي السابقة .

ويمكن ان نعتمد على كتاب « الولاة والقضاة » لنتعرف على اسلوب « الكندي » في الكتابة التاريخية وعلى المكانة التي يحتلها بين المؤرخين للاسلام . لقد

شهدت المدرسة المصرية التاريخية التي تتمثل في رواة الكندي ومؤرخيه كل الاتجاهات التي وضحت في الدراسات التاريخية عند المسلمين منذ النصف الاول من القرن الاول الهجري فقد شهدت فن القصص ولكن على اسس مختلفة كثيرا عما عرفه : عبيد بن شريه ووهب بن منبه ، واول من قص بمصر سليم بن عتر التجيبي القاضي، ووجد هذا الفن قبولا من المصريين لانه يرافق طبيعتهم، كذلك قام عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بدراسة خطط الفسطاط .

يتبين هذا فيمن نقل عنهم الكندي منذ (سنة ٥٠هـ) حتى عصره ، ومنهم : الزهري وابن لهيعة وابو مخنف وكثير غيرهم وكل هؤلاء الرواة اشتغلوا بالقصص او كتبوا في السير او عنوا بالايام والانساب والخطط .

وفي النصف الاول من القرن الرابع الهجري كانت المدرسة التاريخية قد استفادت من تجارب مدرسة المدينة والبصرة والكوفة والفسطاط والتقت الاتجاهات كلها معا في هذا العصر واصبح لهذه المدرسة سمات واضحة هي : اتجاهها الى استخدام اسلوب المحدثين في النقد والرواية والعناية بالاسناد اكثر من العناية بالخبر ذاته كما نلمح منها الاستفادة بالميراث السابق الى ابعد الحدود .

وكان اسلوب الكندي في التاليف صورة صادقة لاتجاهات المدرسة الجديدة ، اي انه كان قمة لتطور هام في فن كتابة التاريخ عند المسلمين . فقد كان راوية محدثا بالمحل الاول ، وهو سواء نقل الخبر من متن مكتوب او من مصدر شفوي يقول : حدثني ويسوق سلسلة الرواة في اغلب الاحيان حتى الطبقة الخامسة الى ان ينتهي الى مستهل القرن الاول الهجري ، وواضح انه اهمل السند فيما بعد (سنة ١٩٩ هـ) في الفترة القريبة من عصره وكلها اخبار جمعها هو بنفسه ولم يردها عن احد ، وقد فعل هذا بالقسم الخاص بالولاة فقط من كتابه « الولاة والقضاة » اما في القسم الخاص بالقضاة ـ حيث التشريع والحديث وعلوم القرآن ـ فقد حافظ على السند حتى سنة ٣١٢ هـ تقريبا .

والكندي فوق هذا وذاك صورة لظواهر اخرى شهدتها المدرسة التاريخية في النصف الاخير من القرن الثالث الهجري والنصف الاول من القرن الرابع ، وهي نشأة المؤرخين المحليين الذين اعتنوا بالامصار وسردوا اخبارها وترجموا لاهلها ، وكانت هذه الكتابات منها ما هو : غير ديني ومنها ما هو ديني .

وقد تأثر المسلمون في كتاباتهم للنوع الاول ، بكتابات القدامى عن : انطاكية والقسطنطينية (٣) ، وبما قراوه في الادب الفارسي الذي عرف هذا النوع من التواريخ ، فرأينا ابن طيفور يكتب عن بغداد والازدي يكتب عن الموصل وابن زولاق عن فضائل مصر والرازي عن قرطبة وابي العرب تميم عن القيروان .

وقد انقسم النوع الثاني (الديني) الى قسمين :

الاول : يتمثل في التاريخ للحرمين : مكة والمدينة ، مثل ما كتبه الازرقي والفاكهي ، فقد اهتما باتاحة المعرفة للمسلمين عن التاريخ الديني للمشاعر المقدسة .

الثاني : يتمثل في الكتابات التاريخية التي اهتم كاتبوها بتقديم كتاباتهم بمقدمة (طبوغرافية) ثم يتحدثون بعدها عن الاشخاص الذين ولدوا او استقروا في مدينة بعينها ثم يعرضون للمحدثين والفقهاء الخ . وكتاب «الولاة والقضاة» الذي نتخذه نموذجا لاسلوب «الكندي» في الكتابة التاريخية، يعتبر من النوع غير الديني ، فالنزعة المصرية فيه واضحة فهو يصر على ان ينسب نفسه فيقول: الكندي المصري ، كما انه اقام في الفسطاط دهره كله لم يغادرها الى غيرها من البلاد ثم هو يعرض للولاة في مصر واخبارهم المحلية ، ولا يروي من الاحاديث الا ما تواتر على السنة الرواة المصريين ولا ينتقي من الشعر الا ما قيل في مصر او عن مصر ولا يتحدث الا عن العرب في مصر ، وكذلك شانه في القضاة فهو يترجم لمدرسة الفسطاط منذ نشأتها الاولى حتى السنة التي مات فيها او التي توقف عن الكتابة فيها ، وقد ورد على لسان الكندي : « ... حدثني ابن قدير عن يحيى بن عثمان عن هارون بن سعيد قال : كان الناس قد تحدثوا ان اسحاق ابن يحيى عزم ان يثور بمصر فدخلت عليه فقال : ابلغك ان من اراد مصر بسوء اكبه الله لمنخريه » (٤) . ولا شك ان ذلك يدلنا على مد اعتزاز « الكندي » بمصر وعصبيته لها . وبعد فلقد اظهر « الكندي » في كتابه هذا ثقافة واسعة عظيمة تعلي من مكانته بين اعلام المفكرين وكتاب التاريخ كما يعتبر هذا الكتاب ثروة عظيمة الاثر في دراسة الحياة العربية في مصر منذ الفتح العربي وحتى منتصف القرن الرابع الهجري .

ولعل من المفيد في هذا المقام ان نذكر ونعرف ببعض رواة الكندي ومؤرخيه ونبين اهميتهم :

لقد بلغ عدد الرواة الذين وردوا في اسناد الولاة او القضاة نحوا من ثلاثمائة وعشرين ، وعدد الاشخاص في كل سلسلة اسناد بين خمسة وثلاثة واغلبية الرواة يذكرون مرة او مرتين ، وبعضهم يرددون في كل مناسبة وسنحاول ان نذكر اهمهم مرتبين طبقات بعدا او قربا من الكندي ووفقا لمكانتهم من الاسناد :

النــاقد

لو يكتب الناقــد من عنـده　　قصيـدة حديثـة الشعـر
او يعكس الافكار في صـورة　　بسيطـة في اسطر النثـر
ويحكم النـاس عـلى فنـه　　كحكمـه في اول الامـر
لحـاز في تحصيله مسبقـا　　صفرا من الارقــام في صفر

العراق ـ الكوت　　كاظم محمد حسين

من الطبقة الاولى : ١ ـ الطحاوي : احمــد بن محمد بن سلامة أبو جعفر الازدي ، تزعم المدرسةالحنفية وعمل كاتبا للقاضي محمد بن عبده من سنة ٢٧٧ هـ الى سنة ٢٨٣ هـ وقد الف عدة كتب ضاع اغلبها ، وكتب عن الولاة الى ثورة جده : سلامة بن عبد الملك الازديالطحاوي في صعيد مصر (٥) .

٢ ـ ابن قديد : ولد سنة ٢٢٩ هـ وتوفي سنــة ٣١٢ هـ وكان من اشهر رواة الحديث ، وقد قيل انـه كان عنده مصحف عقبة بن عامر الذي يختلف عن مصحف عثمان .

من الطبقة الثانية : ١ ـ ابو الرقراق : احمد بـن محمد بن عبد العزيز ، وقد نقل الكندي عنه مرة واحدة، وهو يروي عادة عن ابن بكير .

٢ ـ ابن عبد الحكم : عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، ابو القاسم المتوفي سنة ٢٥٧ هـ وهو المؤرخ المصري المشهور ، وكتابه اقدم ما وصل الينا حتى اليوم، وقد تعرضت اسرته لمحنة كبيرة سنة ٢٣٧ هـ ، وكانوا قبل ذلك بعشر سنوات قد اصيبوا في محنة خلق القرآن في عهد الواثق ويبدو ان الكندي كان يعرف كتاب ابن عبد الحكم فتوح مصر وكان ابن قديد استاذ الكندي احــد الرواة عن عبد الرحمن بن عبد الحكم .

من الطبقة الثالثة : ١ ـ ابن عفير : سعيد بن كثير بن عفير ابو عثمان الانصار يولد سنة ١٤٦ هـ وتوفي سنة ٢٢٦ هـ كان يروي الحديث عن مالك، فقيها عالما بالانساب والتاريخ والشعر وذكر السيوطي انه تولى القضاء كما ذكر المقريزي حديثا جرى بينه وبين المأمون عندما زار مصر سنة ٢١٧ هـ ويضعه السيوطي في قمة مؤرخي مصر الاسلامية .

٢ ـ ابن وهب : عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي ولد سنة ١٢٤ هـ وتوفي سنة ١٩٧ هـ وكان فقيها ومحدثا ومن ابرز تلاميذ مالك رحل اليه سنة ١٤٨ هـ وبقي في المدينة حتى مات الامام وقد رفض تولي القضاء في مصر والف كتابين في الحديث .

من الطبقة الرابعة : ١ ـ المفضل بن فضالة : ابـو معاوية الرعيني القتباني ولد سنة ١٠٧ هـ وتوفي سنـة ١٨١ هـ ، ولي القضاء مرتين وكان مالكيا ، تقيا ورعا .

٢ ـ الليث بن سعد : ابن عبد الرحمن ابو الحارث الفهمي ولد سنة ٩٤ هـ وتوفي سنة ١٧٥ هـ ، واسرته من اصفهان ، لكن الليث نفسه ولد في قلقشنــــده بمصر وكان ابرز رجال عصره في العلم ، رحل الى مكة وبيـت القدس وبغداد ، ولقي عددا كبيرا من التابعين وكان على صلة بالامام مالك ويعتبره البعض اعرف من مالك في الفقه وقد انشأ مذهبا اهمل فيما بعد .

من الطبقة الخامسة : ١ ـ عبد الكريم : ابن الحارث الحضرمي (ت ١٣٦ هـ) في برقة ، ويذكر السيوطي انه كان استاذ الليث وقد روى الليث عنه خمسة احاديث.

٢ ـ الحارث بن يزيد : والد عبد الكريم (ت ١٣٠هـ) في برقة .

من الطبقة السادسة : وهم من الصحابة والتابعين:

١ ـ حسين بن شفي بن مطيع الاصبحي المتوفي سنــة (١٢٩هـ) ، كان حيوة بن شريح يزوره مرة فوجده في غاية الالم بسبب استيلاء بعضهم على كتب له ، وكان ابو شفي قد قراها على عبد الله بن عمرو بن العاص ومن هذه الكتب كتاب تضمن اقضية الرسول وآخر بعنوان : قال الرسول

٢ ـ عبد الله بن عمرو بن العاص : المتوفي (٦٥ هـ) كان صحابيا وحضر مع ابيه فتح مصر ، وكان من اعظم اهل العلم في عصره وكانت اسرته تحتفظ بنحو من مائة حديث .

وهكذا كان « الكندي » من اعلام مؤرخي الاسلام في مصر وكتابه الولاة والقضاة مكتبة كبرى لتاريخها .

(١) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ص ١٤٢ .
(٢) الكندي : الولاة والقضاة ص ٣٨٨ ـ ٣٩٢ .
(٣) روز نتال : علم التاريخ عند المسلمين ص ٢٠٩٥ .
(٤) الكندي : الولاة والقضاة ص ١٩٩ .
(٥) ابن النديم : الفهرست ص ٢٩٢ .

جامعة المنوفية ـ شبين الكوم　　احمد البهي الحفناوي

عــثرات الأدبَـاء

بقلم محمد العدناني

* * *

يا المأمون

ينادون من اسمه المأمون : يا المأمون ! والصواب: يا المأمون ! لان العلم المبدوء ب (أل) ، اذا كانت جزءا منه، يؤدي حذفها الى لبس ، لا يمكن معه تعيين العلم المنادى، نحو : يا القاضي ويا الصاحب فيمن اسمه : الصاحب بن عباد ، والقاضي الفاضل . وانا أؤيد النحو الوافي في دعوته ايانا الى ان لا نلتفت الى الخلاف بين النحاة في هــذا ، وأؤيده ايضا في قوله : « الهمزة هنا للقطع بعد أن صارت في اول علم ، فيجب اثباتها نطقا وكتابة في كل الاحوال، لان المبدوء بهمزة وصل ، اذا سمي به ، يجب قطع همزته، لا فرق بين الفعل وغيره ، ولا بين الجملة وسواها » .

اله باهر وطنه (بفتح اللام وكسرها وتضعيفها)

ويخطئون من يقول : اله (بتضعيف اللام) باهر وطنه ، اي اتخذه الها ، او عبده . ويقولون ان الصواب هو : أله (بفتح اللام) باهر وطنه . والحقيقة هي انه يجوز ان تقول :

(١) اله (بفتح اللام) وطنه : الصحاح ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، والمختار ، والقاموس ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والمعجم الكبير .

وفعله الهه (من باب فتح ونصر) يألهه الاهة ، والوهة ، والوهية .

(٢) أله وطنه : المصباح ، والتاج ، والمد ، واقــرب الموارد ، والمعجم الكبير .

وفعله : الهه يألهه الاهــة ، والوهة ، والوهيّة : عبده عبادة . والآية ١٢٧ من سورة الاعراف : (وقال الملا من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك وآلهتك) ، قراها ابن عباس : والاهتك (اي : عبادتك) ، وكان يقول ان فرعون يعبد ولا يعبد (بضــم الياء وفتحها) . وكأن القراءة الثانية هي المختارة عنــد ثعلب ، وأيد ابن بري ابن عباس في قراءته .

(٣) أله (بتضعيف اللام) وطنه: المستشرق الالماني جورج ولهلم فرايتاغ في قاموسه العربي اللاتيني ، ومــد القاموس، ومحيط المحيط، واقرب الموارد، والمتن، والمعجم الكبير ، والوسيط .

وفعله قياسي : الهه يؤلهه (بتضعيف اللامــين) تأليها .

ومن معاني (اله) ومشتقاته :

(أ) اله (بفتح اللام) فلانا يألهه الها (بتسكــين اللام) : اجاره وحماه .

(ب) أله (بكسر اللام) يأله الها (بفتح اللام فيهما): تحير (بتضعيف الياء) .

(ج) اله (بكسر اللام) اليه : لجا اليه . واستشهد اللسان بقول الشاعر :

الهت الينا والحوادث جمة

(د) اله (بكسر اللام) اليه : اشتاق . وفي اللسان : الهت اليها والركائب وقف (بتضعيف القاف) .

(هـ) أله (بكسر اللام) عليه : اشتد جزعه عليه .

(و) اله (بكسر اللام) بالمكان : اقام . واستشهد التاج بقول الشاعر :

الهنا بــدار ما تبين رسومها ... كان بقاياهــا وشوم على اليــد

(ز) أله (بتضعيف اللام) فلانا : عظمه .

(ح) تأله (بتضعيف اللام) : تنسك وتعبد .

(ط) استأله : تأله .

(ي) تأله (بتضعيف اللام) : ادعى الالوهية . قال ابو محمد عبد الجليل بن وهبون :

لئن جاد شعر ابن الحسين فانما ... تجيد العطايا ، واللها تفتح اللها

تنبا عجبا بالقريض ، ولو درى ... بانــك تروي شعره لتالهــا

بتضعيف اللام ثم فتحها في (اللها) .

(ك) ويقول احمد بن فارس في معجم مقاييس اللغة: « الهمزة واللام والهاء اصل واحدا ، وهو التعبد . ويقال: تأله (بتضعيف اللام) الرجل ، اذا تعبد » .

اما وقد نجح باهر

يكثر مذيعو هذه الايام ، وادباء الاذاعة من ترديد عبارة : أما (بتضعيف الميم) وقد نجح باهر في الفــوز بشهادة الهندسة ، فان عليه الشروع ببناء مدرســة لمدينته ، والصواب : أمــا وقد نجح ... ، لان (أما) ــ الميم غير مضعفة ــ هنا حرف تنبيه يستفتح به الكــلام مثل (ألا) .

ويكثر مجيء (اما) ــ الميم غير مضعفة ــ قبــل القسم ، كقول ابي صخر الهذلي :

اما والذي ابكى واضحك والذي ... امات واحيا ، والذي امره الامر

لقد تركتني احسد الوحش ان ارى ... اليفين منها لا يروعهما الذعــر

وتأتي (اما) ــ الميم غير مضعفة ــ بمعنى « حقا » فتفتح بعدها أن كما تفتح بعد « حقا » ، فتقول : اما انه قائم ، والتقدير : في الحق انه قائم .

وتأتي اما للعرض بمنزلة « الا » فتختص بالفعل، نحو : اما تقوم ؟ اما تقعد ؟ والمعنى هو : الا تقوم ؟ الا تقعــد ؟

قاما او قاموا بمؤامرة لقتل الحاكم

ويقولون : قام فلان بمؤامرة لقتل الحاكم ، والصواب : قام فلان وفلان ... او اكثر من اثنين ، بمؤامرة لقتل الحاكم ، لان المؤامرة ، كما جاء في المعجم الكبير هي :

(أ) اتفاق جنائي خاص بين شخصين او اكثر ، يكون الغرض منه ارتكاب جريمة من الجرائم المضرة بسلامة امن الدولة ، ويعاقب القانون على مجرد هذا الاتفاق ، ولو لم ينفذ او يشرع في تنفيذ ما يهدف اليه (محدثة) .

(ب) و المؤامرة (في اصطلاح الديوان القديم) : هي عمل تجمع فيه الاوامر الخارجة في مدة ايام الطمع ، ويوقع السلطان في آخره باجازة ذلك . وقد تعمل المؤامرة في كل ديوان ، تجمع جميع ما يحتاج اليه من استثمار واستدعاء وتوقيع .

امس والبارحة

ويظنون ان قولنا : رأيت فلانا البارحة ، يعني انني رأيته امس ، اي في اليوم الذي قبل اليوم الحاضر ، والحقيقة هي ان البارحة صفة لموصوف محذوف، تقديره الليلة البارحة ، ومعناها : اقرب ليلة مضت ، كما يقول يونس بن حبيب ، وابو زيد ، وثعلب ، والتهذيب والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة (الذي قال ان الصفة هنا تغلبت على الموصوف ، حتى صارت كالاسم) ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، والمغرب ، والمختار واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتاج ، والمد ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .

اما امس فيعني اليوم الذي قبل اليوم الحاضر ، وقد يدل على الماضي مطلقا .

وجاء في التهذيب ، واللسان ، والمصباح ان العرب تقول قبل الزوال : فعلنا الليلة كذا ، لقربها من وقت الكلام ، وتقول بعد الزوال : فعلنا البارحة .

اما البارحة الاولى فتقال لليلة التي قبل الليلة البارحة .

سافر رشاد اول امس سافر امس الاول

كنت قد ذكرت في « معجم الاخطاء الشائعة » جواز قولنا : رأيته اول امس (بكسر السين) ، ثم جاء في الجزء الثاني من المجلد الحادي والخمسين ، من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق (ربيع الاخر ١٣٩٦ هـ . نيسان (ابريل) ١٩٧٦ م) ، ما يأتي :

« كان مجلس مجمع القاهرة احال على المؤتمر مع الموافقة ، قرار لجنة الالفاظ والاساليب المتضمن :

« يخطىء بعض النقاد ما تجري به اقلام المعاصرين من قولهم : اول امس ، وامس الاول في التعبير عن اليوم الذي قبل امس ، على اساس ان المأثور عن العرب في مثل ذلك ان يقال : اول من امس .

« درست اللجنة هذا ، وانتهت الى ان التعبيرين صحيحان ، استنادا الى امرين :

الامر الاول : شيوع الدلالة وكثرة استعمالها في اللغة المعاصرة للتعبير عن اليوم السابق لامس .

« وقد وجدت اللجنة ان (اول) قد وردت في الاستعمالات الصحيحة بمعنى : سابق ، وعلى ذلك يكون تخريج قولهم (اول امس) مبنيا على تفسيره ب (سابق امس) ، على حذف موصوف ، اي : يوم سابق امس ، وبذلك يصح التعبير من الناحية اللغوية .

« كما وجدت اللجنة ان كلمة امس — مع كثرة استعمالها محدودة باليوم السابق — ، قد ورد في نصوص اللغويين الثقات ما يجيز استعمالها على وجه المجاز ، دالة عليه وعلى سابقه ايضا ، كما يستنتج من حوار سيبويه مع الخليل في تخريج قول العرب : لقيته امس الاحدث، يوصف أمس بالاحدث . ووصفه بالاحدث يدل على جواز وصفه بالاقدم، وبالاول أيضا، وهو ما اريد الوصول اليه من اجازة وصف امس بالاول ، ليدل على اليوم السابق لامس ، اذ معنى الاول هنا هو السابق ، وقد سبقت الاشارة الى ان (اول) تأتي بمعنى السابق .

« لهذا ترى اللجنة اجازة استعمال هذين التعبيرين بمدلولهما المعاصر ، وهو اليوم الذي يسبق اليوم السابق»

وقد وافق المؤتمرون على اجازة هذا الاسلوب في الدورة الثانية والاربعين ، لمؤتمر اللغة العربية بالقاهرة، المنعقد في المدة الواقعة بين تاريخ ٢٣ صفر سنة ١٣٩٦هـ الموافق ٢٣ شباط ١٩٧٦ م ، وتاريخ ٧ ربيع الاول١٣٩٦هـ الموافق ٨ آذار ١٩٧٦ م .

(راجع مادة « امس وبالامس » في معجم الاخطاء الشائعة) .

رجل امع (بكسر الهمزة وفتحها وتضعيف الميم)

ويخطئون من يقول: رجل امع، ويقولون ان الصواب هو : إمع (الرجل الذي يتبع الناس ، ولا راي له) ، والحقيقة هي اننا نستطيع ان نقول :

(أ) رجل إمع : الليث بن سعد ، وابو بكر بن السراج، والحسن العسكري في التصحيف والتحريف ، والصحاح، والنهاية ، واللسان ، والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط واقرب الموارد ، والمتن ، والمعجم الكبير ، والوسيط .

(ب) ورجل إمعة : جاء في الحديث : « اغد عالما او متعلما ولا تكن إمعة » . وقال عبد الله بن مسعود : لا يكونن احدكم إمعة . وممن ذكر الرجل الامعة ايضا : الليث بن سعد ، والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، وابو عبيد البكري ، والاساس ، وابن بري ، والنهاية ، واللسان الذي روى قول الشاعر :

لقيت شيخا امعه سألته عما معه فقال : ذود اربعة

وقول الشاعر :

فلا در درك من صاحب فانت الوزاوزة الامعة

والقاموس ، والتاج ، ومحيط المحيط ، واقرب

الموارد ، والمتن ، والمعجم الكبير .
(ج) ورجل امع : الفراء ، والقاموس ، والتـاج ، ومحيط المحيط ، والمعجم الكبير .
(د) رجل أمعة: الفراء، والقاموس، والتاج، ومحيط المحيط ، والمعجم الكبير .
واخطأ المتن حين انفرد بقوله : رجل امع وامعة ، (بضم فتضعيف) .
وهنالك تأمع الرجل واستأمع ، اي صار إمعة ، كما قال ابو عبيد البكري ، واللسان ، والقاموس ، والتـاج ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن .
اما المراة الامعة فقد خطأ النهاية واللسان مـن يستعملها . ولكن :
اجاز الصحاح استعمالها حين قال : (لا يقـال ، وقد حكي ذلك ، عن ابي عبيد) ، واجازهـا الحسن العسكري في كتابه « التصحيف والتحريف » ، والقاموس (لا يقال وقد يقال) ، وجاء قول التاج كالصحاح ، وقال محيط المحيط : قد يقال ، وقال اقرب الموارد كالصحاح ايضا ، وجاء في المتن : (لا يقال او هو يقال) .
وجمع الاسماء الاربعة الاولى : إمعون : اللسان ، والتاج ، والمتن ، والمعجم الكبير .
وجاء في اللسان والتاج : لا يقال رجال إمعات .

تأمل من باهر خيرا

ويقولون : نتأمل من باهر خيرا . والصواب نأمل منه خيرا ، او نؤمله (بتضعيف الميم) منه . والمضعـف اكثر استعمالا من المخفف .
اما الفعل تأمل (بتضعيف الميم) فمن معانيه :
(١) تثبت في الامر والنظر ، قال محمود سـامي البارودي :

تأمل هـل ترى أثرا فإني ... ارى الاثـار تذهب كالرمـاد
حيـاة المرء في الدنيـا خيال ... وعاقبـة الامـور الى نفـاد

(٢) تأمل الشيء (أ) حدق (بتضعيـف الدال) نحوه . ويقال : تأمل فيه .
(ب) تدبره واعاد النظر فيه مرة بعد اخرى ليتحققه.

التأميم

ويخطىء السيد علي راتب في كتابه « تذكرة علي » من يقول أن معنى « امم مجلس النواب المرافق والشركات والمصارف » هو : جعلها ملكا للامة .
وجاء في « المعجم الكبير » ان كلمة التأميم محدثة ، وعندما ظهرت الطبعة الثانية من « المعجم الوسيط » ، جاء فيها أن مجمع اللغة العربية بالقاهرة اقر ان نسمي ما نجعله ملكا للامة تأميما . وفعله : أممه (بتضعيـف الميم الاولى) .
ويطلقون على الدويبة (بتضعيف الباء) التي يبلغ طولها نحو عشر سنتيمترات، والتي لها ارجل كثيرة، اسم ام اربع واربعين . ولكن هذه التسمية هي من اقوال العامة ، كما يقول ابو حاتم السجستاني ، والتاج ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط .
وقد اطلقت عليها بعض المعجمات اسم الحريش : ابو حاتم السجستاني ، واللسان ، والقاموس ، والتـاج ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والوسيط ، والمنار ، ومعجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية .
ومن المعجمات الانكليزية ــ العربية التي ذكرت ان هذه الحشرة تسمى ام اربع واربعين ، دون ان تذكر انها من اقوال العامة : بادجر ، ويوحنا ابيكاريوس ، والقاموس العصري ، والمورد ، ومعجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية .
وتطلق العامة عليها اسم (الاربعينية) ايضا . وانا اقترح على مجامعنا الموافقة على اطلاق الاربعينية وام اربع واربعين على تلك الحشرة ، مع المحافظة على اسمها العربي الحريش (بفتح فكسر) الذي ذكره عدد كبير مـن معجماتنا .
ويقول الصحاح ، واللسان ، والتـاج ، والمتن ان الحريش هي دابة لها مخالب كمخالب الاسد ، ولها قرن واحد في هامتها ، يسميها الناس الكركدن (بفتح الكافين وتضعيف الدال) .
ويقول اللسان ان الحريش هو نوع ارقط مـن الحيات . ويجمع على حرش (بضم فضم) .
ويقال : اخرجت له حريشتي : ملك يدي .

أمنته (بتضعيف الميم) وآمنته

ويخطئون من يقول : آمنت فلانا : جعلته في امن ، ويقولون ان الصواب هو : أمنته ، وكلا الفعلين صحيح ، وثانيهما اكثر دورانا على الالسنة .
فمن الذين ذكروا الفعل آمنته :
معجم الفاظ القرآن الكريم، والتهذيب، والصحاح، والمحكم ، ومفردات الراغب الاصفهـاني ، والاساس ، والمختار ، واللسان ، والمصباح ، والقاموس ، والتـاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، والمعجم الكبير ، والوسيط .
اما الفعل امنه فقد ذكرته جميع المعجمات ، وفي الحديث : كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لبني قنان بن يزيد الحارثيين ، « ان لهم مذودا وسواقيه مـا اقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وفارقوا المشركين ، وامنوا (بتضعيف الميم) السبيل ، واشهدوا على اسلامهم » . (المذود : جبل ، او موضع فيه نخل) .

الامين

ويخطئون من يستعمل (الامين) بمعنى الفاعـل : المؤتمن (بكسر الميم الثانية) ، ويقولون انهـا لا تأتي الا بمعنى المفعول : المؤتمن (بفتح الميم الثانيـة) ، اعتمادا

على قول ابن السكيت ، والتهذيب ، والقاموس .

ولكن :

(١) فسر الاخفش قوله تعالى في الآية الثالثة من سورة التين : (وهذا البلد الامين) ، بقوله : يريد الآمن، وهو من الامن . وقد يقال : الامين : المأمون ، كما قال الشاعر :

الم تعلمي يا اسم ويحك انني   حلفت يمينا لا اخون اميني

اي مأموني .

(٢) وقال ابن الانباري في كتابه « الاضداد » : الامين من حروف الاضداد ، يقال : فلان اميني ، اي مؤتمني ، وفلان اميني : مؤتمني الذي ائتمنه على امري .

(٣) وقال ابو الطيب اللغوي في اضداده ، وابن فارس في معجم مقاييس اللغة : تستعمل الامين بمعنى الفاعل ، وبمعنى المفعول . ثم استشهدا بقول حسان :

وامين حدثته سر نفسي   فوعاه حفظ الامين الامينا

وقالا : الاول بمعنى المفعول ، والثاني بمعنى الفاعل، كأنه قال : كما حفظ المؤتمن مؤتمنه .

وعلق مؤلف (التضاد) على ذلك بقوله : «ويلاحظ ان الامين الاولى هي « فعيل » بمعنى « مفعول » مشتقة من « امين » المتعدي ، كقتيل بمعنى مقتول ، وان الامين الثانية هي صفة مشبهة باسم الفاعل ، مشتقة من «أمن» اللازم ، يقال : امن يأمن فهو : آمن وأمن وامين » .

(٤) وقال الصحاح والمحكم إن الامين تعني المأمون والمؤتمن كليهما .

(٥) وقال متن اللغة : الامين : حافظ الامانة ، ج . امناء ، و ـ : القوي المؤتمن : ضد .

(٦) وقال المعجم الكبير : الامين : من يتولى رعاية الشيء والمحافظة عليه، واستشهد ببيت حسان. والامين الامن (بمد فكسر) ، واستشهد بالآية الكريمة المذكورة في رقم (١) . والامين : القوي . والجمع : امناء وامنة . وفي الحديث : النجوم امنة السماء .

لذا استعمل الامين بمعنى :

(أ) الآمن او المؤتمن (بكسر الميم الثانية) .

(ب) المأمور او المؤتمن (بفتح الميم الثانية) .

الامهات والامات

ويخطئون من يجمع ام من يعقل على : امات ، ويقولون ان الصواب هو : امهات . فالقرآن الكريم ذكرت فيه الامهات وحدها احدى عشرة مرة ، منها قوله تعالى في الآية السادسة من سورة الاحزاب : (النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم ، وازواجه امهاتهم) .

وممن قال ان الامهات لمن يعقل ، والامات للبهائم : معجم الفاظ القرآن الكريم ، والتهذيب ، وابن مكي الصقلي في « تثقيف اللسان » ، والشيخ ناصيف اليازجي في شرح بيت المتنبي ، الذي وصف به الخيل ، من قصيدته التي مدح بها ابا ايوب احمد ن عمران :

العارفين بها كما عرفتهم   والراكبين جدودهم اماتها

ودقائق العربية .

ولكن :

اجاز الامهات والامات لمن يعقل وما لا يعقل كل من ابي حنيفة الدينوري ، الذي انشد في كتاب النبات لبعض ملوك اليمن :

واماتنا اكرم بهن عجائزا   ورثن العلا عن كابر بعد كابر

وابن درستويه الذي قال ان امات لغة ضعيفة ، وابن جني الذي قال في مخطوطة قونية للفسر ، في شرح بيت المتنبي المذكور آنفا : « ولم يقل (امهاتها) ، لان (الامهات) انما تطلق على من يعقل ، فان كانت ممن لا يعقل ، قلت (امات) ... وقد يجوز (امهات) فيما لا يعقل ... ويجوز (امات) فيمن يعقل » . والصحاح ، ومعجم مقاييس اللغة ، والمحكم ، ومفردات الراغب الاصفهاني ، وابن بري ، والمختار ، واللسان ، والمصباح والقاموس ، والتاج ، والمد ، ومحيط المحيط ، واقرب الموارد ، والمتن ، وعبد الرحمن البرقوقي في شرح بيت المتنبي المذكور آنفا ، والمعجم الكبير الذي استشهد بقول السفاح ابن بكير اليربوعي ــ في الامهات لغير الآدميين :

قوال معروف وفعاله   عقار مثنى امهات الرباع

(الرباع جمع ربع ، وهو الفصيل ينتج في الربيع).

والمعجم الوسيط .

الام ، والامهة ، والامة (بتضعيف الميم في الكلمات الثلاث) كالام . اما مصغرها فهو : اميمة ، وامينة ، واميهمة .

وقالت جل المعجمات : « وقيل الامهات فيمن يعقل، والامات فيما لا يعقل » .

ومن معاني الام :

(١) الجدة .

(٢) ام القرآن : فاتحته .

(٣) ام الكتاب : اللوح المحفوظ .

(٤) ام النجوم : المجرة .

(٥) ام المثوى : مدبرة المنزل .

(٦) ام القرى : مكة .

(٧) ام الراس : الدماغ .

(٨) ام الخبائث : الخمر .

(٩) ام قشعم : المنية .

(١٠) ام الطريق : الطريق الاعظم بجانبيه طرق اخرى .

بيروت ــ شارع الجامعة العربية
بناية الاسكندراني رقم ٣

محمد العدناني

عريشة بيتنا عتيقة في العمر . ما رآها أحد الا وقال : اسم الله عليها ، كم هي ناجحة .

تمتد امتدادا واسعا على شبكة واسعة من الشريط ، رفعتها على اكتافها اعمدة من الحديد توزعتهنا وهناك لهذا الغرض . تتمسك الشبكة بثبات دون خوف ، كي لا تسقط، بقبضات من الحديد مغروزة في الباطون على جانبيها المتوازيين .

بيتنا هو جانب ، وعيادة والدي هي الجانب الاخر . عيادة .. يقف بناؤها بعد خطو ستة امتار تقريبا، ما عدا حائطها الخلفي فلا يتوقف . بل يتابع خطوه يمين البناء وشماله ، ويكوع ليشكل تصوينة ضخمة. كان العريشة في امتداد اغصانها بين الجانبين ، مصلح يقف بين خصمين، يمسك الواحد ويشد بالاخر لتضييق رقعة الخلاف بينهما . او كان المصلح يعمل احيانا في الكواليس لاجل قضية الصلح ، حين نشاهد اغصانا تدخل من وراء قضبان النوافذ او تبعد مداها في الزوايا . وان حرك الهواء اوراق الاغصان ، سمعت وشوشات هي كلمات الترغيب والترحيب بالمصالحة المنشودة .

كانت الفسحة غرفة انتظار سقفها العريشة . ينتظر فيها المرضى ، عندما يسمح الطقس ولا يكون قاسيا.

بين المرضى رجل يدعى بولس ، الفت مشاهدته مرارا . سبحان الخالق ! رأسه بلا رقبة ، حفي من الشعر . وجهه يشع بابتسامة ، لا ادري ماذا فيها جعلني اسميها عمق البساطة لا تفاهة البساطة .

مساحيق من انوار الشمس لوحت قمتي خديه بلون آحمر فاتح . وفوق القمتين ناصت عينان ، كانما بهرهما لهب من نار . يرتاح جسمه في شروال اسود فضفاض ، كان الهواء نفخه ، فانتفخ بشكل نصف دائرة وجدت نصفها الآخر في استدارةبطن فاض على حافة كمر يحيط خاصرتيه كحزام . وعكست استدارة جسمه تاثيرها على رأسه ، فبدا الراسبدوره مستديرا اكثر مما هو مستطيل . فاذا كل شيء في بولس مستدير ، لا سيما الشروال ستار ، فبالغ في الحشمة وستر اكثر من اللزومرجليه القصيرتين . فكان كرة بشرية مكنوزة لحما ومنفوخة ، تتدحرج في براءة قلب وروح بين عباد الله . من افضل فضائله انه لم يخاصم احدا . لكنه تخلى عن هذه الفضيلة ليخاصم الشيخوخة . وهي خصم يكسر ولا

عناقيد تلونها الحياة

بقلم بطرس حبيقة

•

يكسر ، لا يمكننا التغاب عليه مهما تفننا بوسائل قهره .

خمشته يد الشيخوخة باظافرها فتجعد . تجعد جسمه وكل شيء في جسمه . ابتاعته تجاعيد لا يمكن ان تكويها لتملس ، وجعلته من المرضى المدمنين . فادمن على زيارة عيادة والدي مرة كل اسبوع .

ما كان يشكو منه غالبا تجعد في صفطه : نظره يغشي .. وتدور به الارض . فتصدر بحقه لائحة موانع : لا دخان .. لا قهوة .. لا ملح .. لا عرق .. لا عد لها ولا حصر . لكن هذا لا يمنعه عن نفخ «سيكارة» — تقدمها اليه — اثناء انتظار دوره المعاينة ، لان تدخينها عند الحكيم لا يضر .

في يوم كأنه الامس من ايام الربيع ، كان بولس جالسا على الكرسي امام العيادة يدخن السيكارة التي لا تضر . رفع راسه الى فوق باتجاه العريشة ، لينفخ دخانها . عجبا ! جمد رأسه ، وسقطت لفافة التبغ من يده . دهش . ودهشته كبرت لما شاهد اغصانها مشحلة . فشهق من المفاجأة ! دالي العريشة بمنايته عشرين سنة تقريبا ، وهو في شغل شاغل من امر تشحيل اغصانها اكل المقص من يده ، لكثرة ما اكلبه من العريشة . كيف استغنينا عن خدماته وخبرته العتيقة في كار التشحيل ؟

تنهد واشار براسه اشارة ، معناها انه فهم لماذا ؟ السبب : هو التجاعيد .. الشيخوخة . لانه شاخ كان نصيبه الاهمال . اقتلعه آخر .. وشحل العريشة مكانه . فانهارت مملكته في هذا الكار ، ودقت عرشها الشيخوخة اللعينة . وتشاجرت الوساوس في صدره: اما الاخر ، فمن هو حتى ينازعه المملكة المجيدة التي ليس بعدها مجد .. متى كان مجدها الشباب ؟

دبت براسه حرارة التحدي . ما التحدي الا نوع من التعامي، وتذكرة سفر الى ماضي الشباب . فتعامى عن التجاعيد . يريد ان يبرهن انه الان كما ايام زمان . فيبقى بكل نضارته اليوم ، كالبارحة، ويحافظ على قوته مدى الايام .

غذى في نفسه التحدي . فألصق الجهل بهذا الاخر . لا بارك الله فيه. اشار الى العريشة باستخفاف : هذا

قصة

شغل عن قصر نظر وقلة معرفة . واشار الي : ما قولك ؟ فهمك كفاية.
وما تمالك ان وثب عن كرسيه الى تحت الدرج ، غاب وأطل علينا بسلم ذي فتحتين . زهدته .. فلم يقتنع . تجاهل كأنه لم يسمع ما قلت . واقسم بمحبته لنا ومعزته الغالية لبيتنا ان ادعه وشانه . أبعد فتحتي السلم ، فنطحت كل منهما الاخرى وفرشختا فوق الارض دون حياء او خفر . صعد السلم متسلحا بالمقص ، ليقضي ببعد نظره ومعرفته على جهل عدو الكار . انما في الواقع، كان همه تحدي الشيخوخة وحدها .. لا احد غيرها ، ولو تحت قناع القضاء على الجهل .
لعب ضغطه في وقت لا يجوز فيه ان يلعب ، فلعبت الارض تحت السلم هوى عن علو ثلاثة امتار ، وهوى السلم معه ، وطار المقص بعيدا كطائر مذعور .
في الوان الموت الصفراء والحمراء والوان العريش الخضراء ، رايت بولس مسجى على طاولة الفحص في عيادة والدي ، جثة يفور الدم من فمها وتهذي . وفي هذيانها الاحمر ، تلتقط كلمات شاردة : ما وقعت .. السلم وقع . جثة .. حتى في حالة اللاوعي تريد اقناعنا ان السلم اوقعها لا الشيخوخة ، لانها تتمسك بتحدي هذه الشيخوخة الى آخر لحظة من حياتها . الى أن أسلمت روحها ، فتسمر على شفتيها التحدي الكبير .
ملأت رهبة الموت قلبي ، وهز الاحتضار العظيم شعوري في العمق. فوجدت شبها بين العريشة والحياة لو تركت العريشة دون تشحيل، لتكاثر تالعناقيد تكاثرا جعلها لا تقوى على حملها جميعا . فتظل العناقيد حصرما اخضر ، لا يحمر لها لون ولا تنضج لتكون ثمرا .
كل سنة يقطع المقص اغصانا ، لتحيا اخرى تحمل عنبا وتنضج ما تحمل . ثم ... في السنة القادمة ، فالاغصان التي حملت عنبا ناضجا تقطع بدورها لتحيي أغصانا اخرى .
يشحل المقص اغصان العريشة ، ليزيدها حياة . صحيح : تذبل حياة الاغصان المقطوعة وتموت . لكنها في ذبولها وموتها تعطي الحياة لمثلها من من اغصان تركتها في العريشة . الحياة تموت لتعطي غيرها حياة . ومن حياة يعطي الحياة هو حياة، ولو اعطاها بموته وذبوله الفاني . والاغصان الذابلة لا تزال في العريشة ولو فصلها المقص عنها ، لانها حياة في حياة العريشة .
كما الغصن الذابل في حياة العريشة، كذلك الانسان الميت يعطي الحياة زخمها . لان الحياة تأخذ من ذاتها وتبني نفسها بنفسها ، فتتقدم الى الامام مدفوعة بما مضى. في هذا التقدم .. « الامام » يشحله الموت فيحل « وراء » يدفع غيره الى الامام فيغدو الماضي هو الحاضر والمستقبل اي ماضيا في خطوات التقدم المستمر ويغدو الانسان حياة الحياة ، ولو قصته الشيخوخة بمقص الموت .
ينتزعني خيالي ويطير بي ، فتطل علي صورة بولس الراقد الرقاد الاخير على طاولة الفحص في العيادة اتذكر .. كان عالقا في ثوبه غصن من الاغصان التي عضها مقصه ورماها على الارض . سقط معه لما سقط . ونام على صدره : الغصن مثله وهو مثل الغصن . الاثنان يذبلان ، وفي ذبولهما يعطيان الحياة . انهما من الحياة ولو بذلا الى الابد .
ارى جسده كرة بشرية مستديرة ككرة الارض تغيب في جذع العريشة، منه تخرج اليدان حاملتين مقصا تتفرعان الى ايد خضراء تتصافح ويسلم بعضها على بعض فتتشابك على الشريط الحديدي ، في راحة كل منها عنقود . وفم من الدم ، هو الحياة في العريشة ، يتفل فتتلون العناقيد .. تلونها الحياة بتفلات حمراء بلفظها فم ميت .

بطرس حبيقة
بسكنتا ــ لبنان

سعر بيع مجلة الاديب :

العراق	٢٠٠ فلس
الكويت	٤٠٠ فلس
ابو ظبي	٥ دراهم
دبـي	٥ دراهم
قطـر	٥ ريالات
البحرين	٥٠٠ فلس
الاردن	٢٠٠ فلس
السعودية	٥ ريالات
اليمـن	٥ ريالات
عـدن	٥٠٠ فلس
مصـر	٢٠٠ مليم
ليبيـا	٤٠٠ درهم
تونس	٤٠٠ مليم
المغرب	٥ دراهم

زيارة الشاعر حليم دمّوس للعراق

بقلم الدكتور محسن جمال الدين

* * *

ابدى الاستاذ الفاضل الاخ علي حيدر النجاري في (بريد الاديب) ، العددان : ٥ ، ٦ ـ مايو ويونيو ١٩٨٠. السنة ٣٩ ملاحظة لطيفة حول ما كتبه الاستاذ الجليل الباحث المؤرخ عجاج نويهض ، تتعلق بالاستاذ المرحوم الشاعر حليم دموس (١٨٨٨ ـ ١٩٥٧) الملقب بشاعر المنابر ، وعن زيارته للعراق ومصر .

ولقد رجعت لمقال الاستاذ المحترم نويهض في مجلة (الاديب) عدد مارس ١٩٧٨ صفحة ٣٢ وما بعدها فوجدته يفيض تاريخا وعلما ، وذكريات ، كعادته في السرد ، والتذكر للماضي القريب ، الخاص بالامة العربية ، وما رافق حياتها السياسية من الاعيب الاستعمار . وارى من المناسب دائما ان يمد ابناء العروبة بأحاديثه عن شؤون سياسة الشرق العربي ، في العصر الحديث ، وهو الكاتب البارع المتفنن في دفع القارىء لمتابعة ما يكتبه ويمليه ، وما يختزنه في ذاكرته ومذكراته واوراقه ، من وثائق وصور وانباء وتواريخ وطرائف مجهولة واخبار وحوادث اخشى ان تطويها الايام ، باهمالها ونسيانها . كما ارجو ان يجمع الاخ الجليل الاستاذ نويهض تلك الدراسات والذكريات المطبوعة عن الشخصيات والحوادث ، في كتاب يرجع اليه الدارسون والمتلهفون لاسرار الشرق الاوسط ، وما قام به رجال العرب في بداية نهضتهم المعاصرة .

اما بشأن زيارة شاعر البردوني حليم دموس لمصر فقد بين الناقد الاخ النجاري عن اثبات تلك الزيارة سنة ١٩٣٦ في مهرجان الشاعر حافظ ابراهيم ، ولم يشر الكاتب الكريم تاريخيا عن زيارة الشاعر اللبناني دموس للعراق .

وحيث اني كنت صديقا للشاعر الراحل يوم دراستي في لبنان في الجامعة اليسوعية ، وكتبت عنه مرتين قبل غيري ، مرة : في كتابي (العراق في الشعر العربي والمهجري) الصادر سنة ١٩٦٥ ومرة : في مجلة (الاقلام) العراقية في العدد ٥ السنة الاولى ١٩٦٥ .

وفي كلا الدراستين بينت شاعرية حليم دموس وصلاته بالوطن العربي ، ودفاعه المجيد عن اللغة العربية وامجادها .

ويهمني الآن ان اذكر ان هذا الشاعر كان مظلوما حيا وميتا ، منسيا في وطنه الذي احبه ، مهملا في دراسات الجامعات العربية ، ومدارس العالم العربي . وهو صاحب القصيدة المعروفة عن (اللغة العربية) ، ومحبتها ومكانتها المجيدة بين اللغات ، والتي منها قوله :

لا تلمني في هواها انا لا اهوى سواها
لغة الاجداد هذي رفع الله علاها
قد سرت في كل نفس وتمشت في دماها

ولقد زار الشاعر دموس العراق ، وكان ذلك في ذكرى اربعينة المرحوم الملك غازي الاول سنة ١٩٣٩ الذي ذهب ضحية المؤامرات بحادثة مؤلمة . وكان الشاعر اللبناني في طليعة المعزين وقد القى قصيدة رائعة في لغتها ، ومبناها ، وعواطفها ، وحسن القائها ، وتطلعات صاحبها نحو آفاق (الوحدة العربية) ، في وقت كان الحديث عن الوحدة ، يعتبر في نظر بعض الساسة العرب والاستعمار ، جريمة لا تغتفر وخروجا عن الخط المعروف لدى اتباع الشعر المرتزق ، الذي يساير الاغراض والغايات الرخيصة .

ومما جاء في رائعة الشاعر حليم دموس قوله :

غزتك المنايا بعد ان كنت غازيا فاضحت قوافي الشعر فيك تعازيا

ومنها :

لحى الله قلبي كم تحمل من اسى ولله دمعي كم تدفق جاريا
ومن غالب الايام خمسين حجة طوى لضعاف الرافدين الفيافيا
وجاوز صحراء السماوة رائحا ولاحت له دار السلام مغاديا
وافضى الى ارض الرشيد وطالما تحدث عن عرش الرشيد مباهيا

ثم يستمر الشاعر عن الثورة العربية ، وحكم الملك فيصل الاول في سورية ، وعن زيارته لبغداد ، ودعوته بحرارة نحو الوحدة الكبرى فيقول :

وها انا في بغداد اذكر فيصلا واستعرض الماضي وتلك المآسيا
فمن جارة الوادي الى شط دجلة قطعت اهاضيبا وجزت بواديا
ومن مطلع الانوار من كل محفل اخف ليوم الاربعين موافيا
واسعى الى مثوى ابن فيصل خاشعا واحنو لديه حاسر الراس جاثيا
واصبو الى سيفين غمدهما الثرى وقد آثرا بعد الفراق التلاقيا
اناجي ابا غازي وانفح غازيا شذا من نعيم الارز كالمسك زاكيا
وارنو لقومي والمنى تزحم المنى وارفع صوتا في الجماهير داويا
اناشدكم بالضاد لا تتفرقوا ولا تتركوا نجم العروبة خابيا
اناشدكم بالله ـ بالبيت ـ بالالى حموا وطنا ثبت الدعائم راسيا
وكان هواهم وحدة عربية تحقق للاجيال تلك الامانيا
اذا كنت تهوى خالد المجد فاعتنق هوى الوطن الغالي تعش فيه غاليا
على العلم والاخلاق تبنى ممالك يوحدها الاخلاص ما دام باقيا
هنالك يجري (دجلة) متدفقا الى (بردى) و (النيل) ظمآن صاديا
ويصطفق (الاردن) تيها وينثني من(القدس) حتى سفح(لبنان)حانيا
وترنو الى بطحاء (مكة) اعين ترى في سماء الوحي ذاك التآخيا
فانظم للتاريخ تاريخ (وحدة) ملاحم يرويها فم الدهر شاديا

يا ليلة

يا ليلة ، غضب الاباء بخاطري — لما احاق بك الغريب السائـل
اهملته ، لم يرتـدع ، امهلتـه — لم يستفق وهم له ، متفائـل
فصعقت صبوتـه لاحلى حلوة — ما كان منها للمداجي طائـل
ولطالمـا فاء الحنـان بظلها — فعلى قلوب الناس منه غلائـل
اخت الاباء الفذ ، والقيم العلى — اشفقت ان تعزى اليك رذائـل
او ان تلوحي للذئـاب فريسة — تحدى اليك قلاقل وغوائـل
ولانت ، لو يدرون ، كون شمائل — هيهات تعنو فيَ يديـك شمائل
حاشا لقلبك ان يداعب غيرتي — ان صح ذاك ، فكل حـب زائل
لي من هواك دلائـل لا تنتهي — ان اعوزتني فيَ هـواك دلائـل
الحائمون على الزنابـق كثـرة — والناهلون من الرحيق قلائـل

فوزي عطوي

ويسمعها (عدنـان) في الخلد باسما — ويسعى لها (غسان) جذلان راضيا
الى الوحدة الكبرى تحن نفوسهم — وللوحـدة الكبرى نصوغ القوافيا

ان الشاعر المرحوم حليم دموس اضاع نفسه ـ مع الاسف ـ يوم ان سار في دوامة (الداهشية) ، ولقـد رايته يوما في (المعرض) وفي عدة اماكن من بيروت وقد اصابه الهوس في حب (داهش) وافكاره . وكان يلح علي في ان اراه واتعرف اليه وطلب مني عناوين مجـلات وصحف عراقية ليراسلها باشعاره وقصائده الروحانية . وكان ينظم ويرسل انتاجه الشعـري الى (الحضـارة) و (الهاتف) و (البيان) و (العزي) و (العقيـدة) في العراق . ويوقع باسم الشاعر (حسان حليم دموس) ولكن الفرق كبير بين الحسانين والرسالتين .

وطفت على اشعاره اواخر ايامه السرعـة ، وكثرة النظم ، والترديد للافكار . مما اوقعه في الخروج عـن قاعدة شعره الاول الرصين ، الذي كان يمتاز بالابتكار والانسياب والطرافة وتوافـق المعنى والفكرة وقـوة السبك .

وهو من الشعراء الذين كانوا ينظمون القصائـد الطوال في اكثر المناسبات بنفسه العالي . ومـن غـرر قصائده التي كنت قد قرأتها واحببتها والتي اشار اليها الاستاذ عجاج نويهض في ذكرياته عنـــه قصيدة (الام والطفل) وهي مترجمة عن شعر الشاعر الانساني الهندي الكبير (طاغور) والتي صور فيها محبة (الام) لطفلهـا ، وعن تساؤل الطفل يوما لامه ، بأنه كيف جاء ؟ وكيف ولد ؟ ومن اي العناصر تكون ؟ واجابـة امه له عـــن تساؤلاته بروح المحبة ، والحنان ، واللطف وكان قـد نشرها ـ رحمة الله عليه ـ في مجلة (المعرض) لصاحبها الكاتب النائب ميشال زكور . اوانهـا اخذتها من ديوانه المطبوع سنة ١٩١٩ بدمشق ، والذي ذكره الاستـاذ عجاج نويهض في دراسته الممتعة عنه .

هذه خواطر ما كانت تكتب لولا ما اثـاره الاستاذ المؤرخ الجليل الاخ عجاج نويهض عن الشاعر وشكـه لزيارته لمصر والعراق ، وما علق عليه الاستاذ المفضال علي حيدر النجاري ، فشكراً لهما و (للاديب) . فلولاهم جميعا لما قلبت صفحات الماضي القريب ، لاعرضها لمحبي الشاعر اللبناني العربي الراحـل المنسي حليم دموس ، والذي لم يحظ بشيء من التكريم والذكرى أو الاهتمام لنشر آثاره الشعرية والنثرية المفقودة من الاسواق او المخطوطة التي تحتفظ بها اسرته ، أو خزائن بعض معارفه او التي تضمها مجاميع المجـلات والصحف اللبنانيـة والعربية والمهجرية .

وحبذا لو سارع تجار الكتب ، واصحـاب دور النشر في لبنان ، وهم الذين لا تفوتهم مثل هذه الفرص ، في اعادة طبع القيم من كتبه النثرية والشعرية ، وحيث ان بعضهم قد غمر الاسواق العربية ، بما يعيد طبعه من الكتب التافهة ، او المتاجرة في تشويـه كتب التراث العربي ، أو الاعتداء على حقوق الكتاب والمؤلفين والادباء المعروفين ، احياء كانوا ام امواتا .

محسن جمال الدين
جامعة بغداد ـ كلية الآداب

المواقفيــة والمجتـمع

بقلم عدنان بن ذريل

* * *

اظهرنا في دراساتنا السابقة في مجلة (الاديب) الغراء (١) كيف المواقفية حملت الدراسة النفسية للسلوك ، من حدود الطريق الواحدة التي لـ (السبب ـ النتيجة) الى حدود الطرق المتنوعة التي لـ (المتعدد ـ المتحول) ..

كمابينا كيف استطاع البحث المواقفي ، سيتياسيونال ، ان يشق طريقه بين المذاهب السلوكية الحديثة ، ويقرب الهوة بين ما هو نفسي وما هو اجتماعي وبالتالي بين علم النفس وعلم الاجتماع ، ومباحث كل منهما ..

وذلك ان السلوك في نظر المواقفية ، لم يعد مجرد نتيجة سببية ، هو (استجابة) لمؤثر داخليا كان او خارجيا .. وانما اصبح المجتلى للتفاعل المواقفي المتبادل بين الفرد والجماعة ، في سياق اجتماعي ما ..

الموقف ومفهومه

وبالفعل ان اثر المجتمع على الافراد ليس مستقلا عن اوضاع الشخص ومواقفه .. ومن الصعب ، اللهم الا على سبيل العزل التحليلي ، الفصل بين ما هو للفرد وما هو للمجتمع ، او التفرقة بينهما ..

والموقف شيء شخصي ، يخص الشخص ، ولكنه في الوقت نفسه شيء اجتماعي ويخص المجتمع .. ان الشخص يعيش الموقف ويرد فيه على المؤثرات ، ولكنه ايضا يتحمل آثار المعايشة والتراث ..

وان استهداف المواقفية للكلية الصيغية للظواهر النفسية ، ساعد ويساعد على تحديد الوحدة بين ما هو نفسي وما هو اجتماعي ، والتوسع في بحثها ، والتي تترجم عادة الى تفاعل متبادل بين الفرد والجماعة ..

ومما أتاحته المواقفية وتتيحه باستمرار ايضا دراسة السلوك المتضمن والمحتجب ، الى جانب السلوك الظاهر .. في حين كان الواطسونيون لا يعترفون في دراساتهم بغير السلوك الظاهر ..

ان الواطسونيين من السلوكيين بالفعل لا يقيمون وزنا لغير الفعالية الظاهرة ، ومظاهرها السلوكية ، كوقائع نفسية يمكن مشاهدتها ومراقبتها ، والتثبت منها ، وبالتالي تصلح ان تكون مادة للدراسة العلمية ..

ولكن المواقفيين في حرصهم على مواجهة الحياة الواقعية وما فيها من تفاعلات فعلية ، اقروا ويقرون بالسلوك المتضمن والمحتجب .. وصاروا يدرسونهما على النحو الذي تنم عنه مواقف الحياة ، سلوكاتها وسياقاتها (٢) .

محددات السلوك ومناطق الشخصية

ان (تولمان) مثلا يقول بمحددات السلوك ، اي الافعال النفسية الظاهرة والمحتجبة ، التي ترافق ظهور المواقف .. و (لابيير وفارنسوارث) يقولان بالسلوك المحتجب ورمزيته ..

ناهيك بما ذهب اليه (ليفين) من ان لشخصية الشخص منطقتين (٣) اساسيتين متكاملتين : منطقة داخلية ، هي لب شخصيته ، وكيانه الذاتي المكون من الحاجات والميول ..

ثم منطقة خارجية ، هي المظاهر الحركية كمواقف .. او هي طرائق الفعل الجسماني الجسدي ، التي تصطنعها هذه الحاجات والميول من اجل ظهورها في حياة الشخص (٤) .

ان (انا) الشخص هي حقا ثمرة التكيف والتعلم والتنشئة الاجتماعية، اي هي نتاج نفسي اجتماعي .. ولكنها في نظر المواقفيين لم تكن موجودة من قبل التجربة الفعلية للحياة الواقعية ..

ان (الانا) في المواقفية هي مندمجة باستمرار في (موقف) ، ومنهمكة في (فعل) .. وهي بالتالي في سلوكها الظاهر ، او المتضمن او المحتجب ثمرة من ثمرات التكامل النفسي والاجتماعي .

ماهية السلوك الاجتماعي

والمواقفية الاجتماعية تنطلق من (الموقف) ، وتعتبره شيئا من طبيعة الانسان واجتماعيته .. ومن هنا هي تتخذ المواقف بمثابة وحدات اساسية في دراسة السلوك الاجتماعي ..

ورغم انها تؤكد على الجانب الاجتماعي فيه ، او تعالجه من زاوية الموقف الاجتماعي ، الا انها لا تفصله عن شخصية الشخص ولا عن ظروفه ، وانما تدرسه من زاوية التفاعل المواقفي في الحياة .

وعلى ذلك هي تعرف السلوك الاجتماعي بانه : هو السلوك الذي يظهر عندما يجيب شخصان او اكثر ، بعضهم على بعض ، بطرق مكتسبة اجتماعيا ..

كما تعرف الموقف الاجتماعي بأنه : هو الموقف الذي يظهر عندما يلتقي شخصان او اكثر ، فيدخل كل منهما في تفاعل نفسي واجتماعي مع اخر ..

ان السلوك الاجتماعي هو السلوك المكتسب في

التنشئة الاجتماعية ، وله شكل واضح ومحدد ضمن التنظيمات الاجتماعية التي تمارسها الافراد في مجتمع ما (٥) ..

امثلة في الفوارق بين السلوكات

ويمتاز السلوك الاجتماعي عن السلوكين الفردي والجماعي في ان هذين الاخيرين مفتوحان على الحياة ، ومتروكان للمبادرة الشخصية .. ولذلك هما غير محددين بشكل نهائي ، ويحتملان التبديل ..

لنأخذ مثلا مواقف شخص يتريض في غابة، ومواقف شخص يلتقي في غابة مع اناس غرباء لا يعرفهم .. ان الفوارق بين مواقف كل منهما من الظروف ، ومن الاخرين تعكس الفوارق بين السلوكات الفردية والجماعية والاجتماعية ..

الشخص الذي يتريض في غابة يحمل من تربيته الاجتماعية بعض المعايير ، غالبا ما تنم عنها مواقفه .. فاذا كان صيادا او مدربا على استعمال السلاح فهو لا يتهيب من الوحوش كالافاعي وغيرها ..

في حين ان التقاء شخص بأناس لا يعرفهم في غابة يفتح امامه مجالات لانواع من الانفعالات وردود الفعل المتداخلة والمتناقضة ،خاصة اذا هو خشي اذاهم او سطوهم ..

وذلك انه يمكن لاحد هؤلاء الاناسي ان يلجأ الى السرقة ، او الى اي تجاوز للاعراف ، او يمكنه ايضا ان يمد يد العون لهذا الشخص مثلا ، في حال تعرضه لخطر الافعى او غير ذلك ..

السلوك الاجتماعي سلوك منظم .. وهو ثمرة التنشئة الاجتماعية .. ولكن السلوك الفردي او الجماعي سلوك مرتجل .. يتفق تارة مع انظمة المجتمع ويختلف تارة اخرى عنها ..

الموقف الاجتماعي عناصره ونمطيته

ومن هنا اعتبار الموقف الاجتماعي ظاهرة واقعية لها بدايتها ونهايتها وديمومتها ونتائجها .. اذ يمكن ان يكون طارئا ، او على العكس يكون اساسيا ..

الموقف الاجتماعي يكون طارئا في حالة اجتماع مسافرين في محطة او في حالة اجتماع اناسي ، بفعل ظرف طارىء ، مثل الكارثة او الفضيحة او ما شابههما .

ولكنه يكون اساسيا ويدوم بالتالي مدة من الزمن ، كما في اجتماع فريق فني ، او اجتماعي او سياسي .. فتدرس نشأته والعضوية فيه ، ثم نمطيته من حيث تنظيمه ..

ان اجتماع العائلة حول مائدة الطعام وسواء في الايام العادية او في المناسبات (موقف اجتماعي) محدد .. تساهم في عضويته افراد محدودون .. ويمكن مراقبته في كل الاحوال (٦) .

وفي المقابل الاجتماع الطارىء في محطة للسفر ، عضويته مفتوحة للحياة ، وتخضع السلوكات المختلفة فيه للمواقف الطارئة التي تعود الى ظروف المسافرين وسفرهم .

الموقف الاجتماعي اذن ظاهرة عرفية تعود الى التقاليد .. ويتدخل فيها التراث الثقافي والاجتماعي ، ولكنها ظاهرة طبيعية ، كما انها سوية رغم انه يعتورها الانحراف والفساد .

المواقفية والزعامة ..

وفي هذه الاجتماعات يستقطب (التفاعل الاجتماعي) عادة شخصية رائدة ومحترمة ، ترأس الاجتماع وتوجهه مثل الاب في البيت ، والمدرب او المرشد في الفريق الفني او الاجتماعي ..

وعلماء النفس الاجتماعيون يطلقون مصطلح (زعيم) على هذه الشخصية الرائدة والمحترمة .. كما يطلقون مصطلح (زعامة) على القيادة او الآمرية التي يمارسها ..

ان موضوع الزعامة من اهم الموضوعات الحيوية في علم النفس الاجتماعي .. ولذلك يوليها الدارسون النفسيون والاجتماعيون اهمية خاصة في بحث الظواهر النفسية والاجتماعية .

ويذهب (لابيير وفارنسوارث) الى ان مهمة علم النفس الاجتماعي ليست وصف الاشكال التي تتخذها السلوكات الفردية والجماعية في المواقف الاجتماعية .. وهي ما يصفه المؤرخون وعلماء الاجناس والاجتماع .

وانما مهمة علم النفس الاجتماعي هي تحليل الطرق التيتظهر فيها المواقف الاجتماعية كما فيالتكيف والزعامة والتفاعل الاجتماعي ، والتكامل الاجتماعي ، حيث نمطية خاصة للعمليات لا بد من تبينها (٧) ..

الانماط المواقفية

وقد اقترح (لابيير وفارنسوارث) تصنيفا للانماط المواقفية ، يستند الى الدور الذي تلعبه الزعامة ، ويضم اربعة انواع لها ، ينطوي كل نوع منها على عدد من اصناف تالية له ، بحسب علاقتها بالزعامة وهي :

١ ـ المواقف الثقافية : ومن ابرز اصنافها مواقف العرف والتقاليد .. ان الزعامة في هذه المواقف ل (التراث) والذي هو بمثابة الموجه فيها والآمر الناهي .

٢ ـ المواقف البين ذاتية : ومن ابرز اصنافها مواقف العمل والاشاعة .. وتكون الزعامة فيها للمبادرة الشخصية عن طريق التماس المباشر مع الاخرين ..

٣ ـ المواقف الجماهيرية : ومنهما الجمهور نفسه، وهو اصناف .. والمبادرة فيها شخصية ، والتفاعل مع الاخرين يتم عن طريق التماس غير المباشر وطويل المدى .

أماني العمر

امـاني عمري شـات مطلبـا — ولا اصبـح شمت ولا كوكبـا
فان اجعـل الشرق لي وجهـة — يصر ذلك الشرق لي مغربـا
اسير وحـولي الدجى مطبـق — وخطي من الدهر مـا غيبـا
كان الحيـاة لهـا لجـة — يزف القنوط بهـا مركبـا
احـدق في الافـق في صحـوه — فـيرخي على سحـره غيهبـا
واشكو الى الورد شوك الاسى — فـيرمي باشواكـه مخلبـا
اينمـي فؤادي على عـوده — وكان فؤادي لـه موكبـا ؟
وانشد للبـدر ذكرى الهـوى — وعهـد شبـاب تقضير خبـا
فيهتز فيّ برجـه ضاحـكا! — ويلتـاذ بالغيم خلـف الربى
وكم كان البـدر من مهجتي — ملاعـب انس له في الصبـا
اخال الورود جفت عهدهـا — واخشى البـدور خلت ملعبا
فلا الطير تـذكر قيثـارتي — ولا الشعر يذكـر لي منصبـا
اجـدف في الوهـم لي زورقـا — وشـط الامـاني بـدا خلبـا
انـا والزمـان على موعـد — وعهـدي بـه لم يزل قلبـا

جنيف ـ سويسرة

احمد عبد الجبار

٤ ـ المواقف الشاذة : ومنها الصدف ، والتي رغم انها تعود الى المبادرة الشخصية ، فهي جزافية واحيانا طارئة (٨) .. والى الاعداد المقبلة .

---

(١) انظر في الاديب الفراء ، الشخصية والموقف ، مايو ١٩٧٨ ، والموقف والسلوك ، اغسطس ـ ديسمبر ١٩٧٨ ، والموجه الكيفي والموقف ، يونيو ١٩٧٩ ، والموقف والحاجة ، سبتمبر ـ اكتوبر ١٩٧٩ وغيرها ..

(٢) وتفسير ذلك ان المواقفية تهتم بالجانب المفهومي في تجربة الانسان ، وليس فقط بالجانب السلوكي ، انظر فيما بعد ..

(٣) مبادىء علم النفس الطوبولوجي ، لكورت ليفين ١٩٣٦ ، ص ١٧٧ ..

(٤) وفي نظر (كورت ليفين) ان الحاجات واوضاع اخرى من المنطقة الداخلية يمكنها ان تؤثر في المحيط فقط عن طريق فعل جسدي ، اي طريق المنطقة التي يسميها بالمنطقة المحركة ، نفس المصدر ..

(٥) هذه التعاريف ، ثم الامثلة عليها اقتبسناها في الاساس من الرائدين في المواقفية الاجتماعية لابيير وفارنسورث ، ناهيك بان العالم النفسي ستوتزل يوليها ويولي المواقفية اعتبارا خاصا .

(٦) ولنقل مثل ذلك في اجتماع فني او اجتماعي فهو (موقف اجتماعي) طبيعي وفي الوقت نفسه محدد ، ويخضع لانظمة تتعلق بعضوية الساهمين فيه .

(٧) علم النفس الاجتماعي للابيير وفارنسورث ، ١٩٤٩ ، ط ٤ ص ٣٨٧ وما بعدها ..

(٨) والمقارنة بين المواقف في الجماعات المختلفة في الماضي ، او الحاضر تعطينا هذه الانماط .

دمشق

عدنان بن ذريل

شوقي والأدب الأوروبي

بقلم فاروق صالح باسلامة

* * *

عندما نتحدث عن « شوقي والادب الاوروبي » ، من زاوية التأثر الذي جعل شوقي شاعرا عالميا ، لا بصفته امير الشعراء في العالم العربي فحسب ، يجدر بنا ان ناتي الى حياته الثقافية منذ الصغر وحتى اصبح شاعرا . فثقافة شوقي هي الادب العربي قبل سواه من الآداب(١) .

يقول مصطفى صادق الرافعي : « والكتاب الاول الذي راض خيال شوقي ، وصقل طبعه ، وصحح نشأته الادبية هو بعينه الذي كانت منه بصيرة حافظ ، وذكرناه في مقالنا عنه ، اي كتاب « الوسيلة الادبية » للمرصفي . وليس السر في هذا الكتاب ما فيه من فنون البلاغة ومختارات الشعر والكتابة ، فهذا كله كان في مصر قديما ولم يغن شيئا ، ولم يخرج لها شاعر كشوقي ، ولكن السر ما في الكتاب من شعر البارودي لانه معاصر » (٢) .

ويقول فوزي عطوي : « ثم ان شوقي قرأ الادب التركي ، والادب اليوناني ، وخاصة المسرح الاغريقي الذي استوحى منه ادباء الغرب عديدا من مسرحياتهم ، وقرأ الادابالانكليزية فتأثر بكل ما قرأ غير انتأثره بالادب العربي بقي اقوى واظهر في شعره من كل ادب اخر » (٣) .

ويجب ونحن نتحدث عن ثقافة شوقي العربية ان نشير الى تأثره بشعراء العرب الاقدمين كالبحتري وابن زيدون خاصة ، وان شوقي وتأثره هنا انما جاء نتيجة تجواله في الغرب ، اثناء نفيه الى هناك لسبب سياسي ، وهو ازاحة سلطات الخديوي في مصر واحتلال انكلترا لها وهي السلطات التي كانت تؤوي شوقي في قصورها وحياتها الفاخمة الباذخة .

يقول فوزي عطوي ايضا : « وكان من شأن هذا التجوال ا ن يطلعه لا على الآثار الاندلسية العربية وحسب وانما اطلع ايضا على ما كتبه شعراء العربية في بلاد الاندلس وتأثر بهم ايما تأثر » .

ولماذا نذهب بعيدا وشوقي قد كتب حياته بقلمه حيث يقول عن ثقافته منذ الصبا :

شوقي يؤرخ نفسه

« دخلت في مكتب الشيخ صالح وانا في الرابعة ، وهي من اهلي جناية على وجداني اغفرها لهم ، ثم انتقلت الى مدرسة المبتديان فالتجهيزية ، فكنت التلميذ الثاني لهذه المدرسة وانا في الخامسة عشرة ، وكان ناظرها قد حصل لي من النظارة على « المجانية » بوجه الاستثناء ، لا عن حاجة اليها ولكن على سبيل المكافأة . ثم راى لي ابي ان ادرس القوانين والشرائع ، فدخلت مدرسة الحقوق ، وكنت اتناول من النظارة مائتي قرش في الشهر ، فدرست الحقوق سنتين ، ثم ارتأت الحكومة ان ينشأ بمدرسة الحقوق قسم للترجمة يتخرج فيه المترجمون الاكفياء فنصح لي الوكيل (المدير) أن ادخل هذا القسم ففعلت واقمت به سنتين ، ثم منحتني نظارة المعارف الشهادة النهائية في فن الترجمة .

ثم اتصلت بالخديوي عباس ، فأقمت في خدمته حتى راى لي الخديوَي ان ابلغ التأديب في اوروبا ، فخبرني في ذلك وفيما اريده من العلوم ، فاخترت الحقوق لعلمي انها تكاد تكون من الادب ، وان لا قدم فيها لمن لا لسان له ، فأشار الامير علي عندئذ ان اجمع في الدراسة بينها وبين الآداب الفرنسية بقدر الامكان ، ثم سافرت على نفقته ، فكنت أنقد ستة عشر جنيها في الشهر . فركبت البحر لاول مرة أؤم مرسيليا ، فلما قدمتها وجدت رئيس الارسالية في انتظاري بها ، فأخبرني ان الامير يامرني بأن اقضي عامين في مدينة « مونبلييه » وآخرين في « باريز » (باريس) .

ثم ما كدت انتهي من السنة الثانية حتى كتب الي مدير الرسالة المصرية يستقدمني ويخبرني انه ذاهب بتلامذته الى انكلترا لقضاء ايام العطلة فيها ، وان الامير رحمه الله ادى نفقة هذه السياحة عني اذا رغبت فيها .

فبرحت « مونبلييه » على عجل ايمم « باريز » المرة الاولى . ثم سافرنا بعد يومين الى عاصمة انكلترا ، فلبثنا فيها نحو شهر . ولما كانت السنة الثالثة وهي الاولى لي في « باريز » اصبت بمرض شديد كنت فيه بين الحياة والموت .

وعندئذ اشار علي الاطباء ان اقضي اياما تحت سماء افريقيا على رغم ان الذي بي من الضجر والسآمة ليس حنينا الى الوطن ، فوقع اختياري على الجزائر فرحلت اليها ، واقمت فيها اربعين يوما او تزيد .

ثم حثثت الرحال عنها ، قافلا الى باريز ، وهناك تمت لي السنة الثالثة في الحقوق ، وحصلت على الشهادة النهائية فيها ، فرأى الجناب العالي ايده الله ، ان اقضي ستة شهور اتمكن فيها من معرفة اشياء باريز واهلها .

ثم انقضت تلك المدة على ما رسم لي الراي العالي ، فعدت الى الوطن ، وانا في نضو فراق ، تهزني اليه الاشواق .

وفي عام ١٨٩٨ للميلاد ندبني جنابه الفخم ، لانوب عن حكومته السنية في مؤتمر المستشرقـين الذي كان انعقاده في مدينة جنيف عاصمة سويسرا فرحلت اليهـا واقمت بها شهرا . ثم انفض المؤتمر ، فبرحتها الى بلجيكا لمشاهدة عاصمتها ، وزيارة المعرض الذي اقيم بمدينـة « انفرس » في ذاك اليوم .

ولما كانت السنة الماضية (ويريد بها سنة ١٨٩٧)،

وكنت قد سئمت الحضر على اثر رمد طال امده ، خرجت الى الاستانة طلبا للعافية على ضفاف البوسفور ، فأذن الله ، وكان ما رجوت ، وعدت من عاصمة الاسلام معافى من رمدي » (٤) .

شوقي والادب الاوروبي

يقول شوقي في هذا الصدد : « وجربت خـاطري في نظم الحكايات على اسلوب « لافونتين » الشهير ، وفي هذه المجموعة شيء من ذلك ، فكنت اذا فرغت من وضع اسطورتين او ثلاث (وهو يشير الى ما ألفه من حكايات الحيوان) اجتمع بأحداث المصريين ، واقرا عليهم شيئا منها ، فيفهمونه لاول وهلة ويأنسون اليه ، ويضحكون من اكثره ، وانا استبشر لذلك ، واتمنى لو وفقني الله لاجعل للاطفال المصريين مثلما جعل الشعراء للاطفال في البلاد المتمدنة منظومات قريبة المتناول ، يأخذون الحكمة والادب من خلالها على قدر عقولهم » (٥) .

وبودي ان اشرح تأثر شـوقي بالادب الاوروبي ، ممثلا في مدارس ذاك الادب من كلاسيكية ورومانتيكيـة وقد تحدث عن ذلك الدكتور شوقي ضيف في كتابه عن شوقي ، قائلا :

« ويظهر انه اعجب بالمسرح الكلاسيكي في فرنسا اثناء القرن السابع عشر اذ كان الشعراء من امثال كورناي وراسين يتخذون مسرحياتهم من التاريخ ، ومن اعمال البطولة ، وكانت الدراما لا تزال ارستقراطية ، فهي لا تعني بالحياة الواقعية ، وانما تعنى بالملوك والنبلاء كأنهـا لا تريد ان تخوض في الحياة العادية المألوفة انما تريد ان تتسامى وترتفع عن هذه الحياة ، وايضا فانها كانت ترتفع في لغتها عن اللغة العادية الى لغة بلاغية ممتازة ، فأعجب شوقي بذلك كله ، ونسج في مآسيه على منوال هؤلاء الشعراء الفرنسيين ، وكان يفكر في ان يشخص حياة ملوك مصريين ، فلمعت في خياله قصة انطونيـو وكليوباترا لشكسبير ، فذهب يحاول صنعها من جديد .

كما ذهب يخرج ملوكا ونبلاء آخرين ، اما مصريين او انصلوا بالتاريخ المصري او التاريخ العربي ، فأخرج « علي بك الكبير » الذي حاول الاستقلال بمصر عن الحكم العثماني ، كما اخرج « قمبيز » الملك الفارسي الذي فتح مصر ، وايضا فانه اخرج « عنترة » و « مجنون ليلى » و « اميرة الاندلس » .

ويمضي الدكتور شوقي ضيف قائلا :

« وشوقي في ذلك كله مقلد الدراسة الفرنسيـة الكلاسيكية في القرن السابع عشر ، فهو يترك عصره الى العصور القديمة ، وهو يختار شخصياته من النجـوم التاريخية اللامعة ، وهو يعتد بلغة بليغة ليس فيها شيء من العبارات اليومية المبتذلة ، وليس ذلك كل ما جاءه من المدرسة الكلاسيكية ، فقد جاءه منها اعتداده بعاطفة الحب في كل مآسيه ، فهي تتوهج وتشتعـل اشتعالا واضحا ، ولعل ذلك ما دفعه الى ان يخصها بروايتـه « مجنون ليلى » » .

على كل حال ، فان شوقي متأثر بالمدرسة الفرنسية الكلاسيكية ، ومن تأثره بها ان مآسيه تخلو من تمثيل الحوادث على المسرح ، فالحرب بين انطونيو واكتافيوس، وبين قمبيز والمصريين ، وبين علي بك الكبير ومحمد بك ابي الذهب ، لا نشاهدها على المسرح ، كما اننا لا نشاهد اي مصارعة او مبارزة ، انما نعرف ذلك من كلام الممثلين وهذه سنة كلاسيكية اتبعها شوقي وتقيد بها » (٦) .

اتجاهاته في المسرح

ويستطرد الدكتور شوقي ضيف في حديثه عن اتجاهـات شوقي في تأليفه المسرحي، فيوضح ان ذلك التأثر بالمدرسة الكلاسيكية الفرنسية ، فقد عقد اتصالا بين مآسيه وبين هذه المدرسة . لذلك نجد شوقي طبيعيـا يتحول الى مدرسة الرومانتيكيين الذين يعيبـون على المدرسـة الكلاسيكية انها تتقيد بقواعد خاصـة كوحدة الزمـان ووحدة الموضوع ، ظنا منهم (اي من شعرائهم) بـأن اليونان اتخذوها قواعد لا ينحرفون عنهـا في صنـع مسرحياتهم ، فانفكوا عن وحدتي الزمان والمكان ، كما انفكوا احيانا عن وحدة الموضوع .

اما عن تأثير الادب الفرنسي في شعر شوقي، فيتجلى في بعض قصائده ، وفي ذلك يقـول الدكتور ضيف : « وجارى شوقي الرومانتيكيين في ذلك ، كما جاراهم ، وجارى من جاء بعدهم ، بل جـارى شكسبير ايضا في ادخال عناصر فكاهية في مآسيه ، وهي عناصر لا تجدها بتاتا في المسرحية الكلاسيكية الفرنسية ، انما جاء بهـا شكسبير ، وتابعه فيها اصحاب المدرسة الرومانتيكية ومن خلفوهم .

وسار شوقي على هذه السنة في مآسيه ، فأجرى فيها تيارا فكاهيا وان كان غيرها ذبل وانقطع احيانـا ، فقد عمد اليه في غير مبالغة » . ثم يوضح ان شوقي تابع الرومانتيكيين الى حد بعيد في اساليب مسرحيـاتهم فكان يداخل بين قصتين في مأساة واحدة .

ثم يبين الدكتور ضيف ان شوقي قد اهمل خطوطا رئيسية في الاسلوب الشعـري الغـربي ، وخصوصا في الموسيقى والقافيـة : « ومعروف ان الشعر الغربي الحديث لا يهتم بالقوافي ، وقد الف شكسبير مسرحياته من

هل من خبر

يا نسيم الصبح هـل من خبر — ساحر الانسام بسـام المعـاني
يرسم الفرحـة في اشعارنـــا — يمسح الحزن فننسى مـا نعـاني
اننا نحيـا على الذكرى .. وكم — نبتغي لو عـاد اشراق الزمـان
لنعيش العمـر زهـرا يانعـــا — وطيورا تملأ الدنيـا اغـاني
فاهـالي الحب مهمـا عمـرهم — كان . هم عند الهوى في عنفوان

وجدة ــ المغرب — محمد علي الرباوي

شعر مرسل ، فكان من الطبيعي ان يفكر شوقي في ذلك ، وان يمعن النظر فيه لعله يخترع وزنا للشعر التمثيلي الذي ادخله الى العربية ، او لعله ينفك من عقـــاله في القافية ، فيدعه مرسلا ، مطلقا من القوافي ، ولكنـه لم يفكر في ذلك ، او لعله فكر ووجد من الخير ان يستمر في التمثيل بالصورة الموسيقية للشعر الغنائي ، وهي الصورة التي الفها الجمهور للشعر العربي » (٧) .

اما قصائد شوقي التي كتبها متأثرا بالادب الاوروبي فيقول عنها الدكتور ضيف : « وربما كانت قصيدته « كبار الحوادث في وادي النيل » التي كتبـهـا لمؤتمر المستشرقين هي اهم صدى لاطلاعه على الآداب الفرنسية فانه عدل فيها عن المديح الى التاريخ ، واكبر الظن انـه تأثر فيها بما قراه لفيكتور هوغو من ديوانـــه المسمى « اساطير القرون » . فهذا الديوان كان نافذة له مـن خلالها اطلع على نحو جديد من الشعر التاريخي ، فقلده واستمر فادخل الى العربية ، لا هذه الملحمة وحدها ، بل فرعونياته كلها التي تعد اكثرهـا ضدى لتغني شعراء فرنسا بالاطلال اليونانية والرومانية » .

والقصيدة التي اشار اليها الدكتور ضيف مطلعها :

همت الفلـك واحتواهـا الماء — وحـداها بمن تقـل الرجـاء

وفيها يقول :

وملكنا فالمالكـون عبيـد — والبرايـا باسرهم اسـراء
قل لبان بنى فشـاد فغـالى — لم يجز مصر في الزمـان بنـاء
ليت شعري والدهر حرب بنيه — واياديـه عنـدهم افيـاء
ما الذي داخـل الليالي منـا — في صبانـا والليـالي دهـاء
فعلا الدهر فوق علياء فرعون — وهمـت بملكـه الارزاء

وهناك قصائد لشوقي يبدو فيها تأثره بالمدارس الادبية الفرنسية ، في غير ما ذكره الدكتور ضيف ، ومن ذلك قصيدته « انس الوجود » التي مطلعها :

ايهـا المنتـحي باسـوان دارا — كالثريـا تريـد ان تنقضـا
اخلع النعل واخفض الطرف واخشع — لا تطاول من آيـة الدهر غضـا
قف بتلك القصور في اليم غرقى — ممسكا بعضهـا من الذعـر بعضا

ثم يمضي امير الشعراء ، واصفا تلك القصـور القديمة التي تعد من مفاخر المصريين :

يا قصورا نظرتهـا وهي تقضي — فسكبت الدمـوع والحق يقضى
انت سطر ، ومجد مصر كتـاب — كيف سام البلى كتابـك فضـا
حار فيك المهندسون عقـولا — وتولت عزائم العـلم مـرضى
اين ملك حيالهـا ، وفريـد — من نظام النعيم اصبح فضـا
اين فرعون في المواكب تترى — يركض المالكين كالخيـل ركضـا
ساق للفتح في الممالـك عرضا — وجلا للفخـار في السلم عرضـا
اين ايزيس تحتها النيـل يجري — حكمت فيـه شاطئين وعرضـا
اسدل الطرف كاهـن ومليـك — في ثراهـا وارسل الراس خفضا

ونحن نعلم ان هذه القصيدة هي التي قدم لهـا شوقي برسالة وجهها الى روزفلت الرئيس الاسبـق للولايات المتحدة الاميركية (٨) .

---

(١) تراجع جريدة « الشرق الاوسط » العدد ٤٤٤ ــ ١٢ ديسمبر ١٩٧٩ .

(٢) وحي القلم ، لمصطفى صادق الرافعي ص ٣٠١ ــ مقالـة « شوقي » : دار المعارف بمصر .

(٣) احمد شوقي : دراسة ونصوص ، لفوزي عطوي ط : الشركة اللبنانية للكتاب .

(٤) نقلا عن كتاب « الادباء العشر » لاسعد طلس وابراهيم كيلاني مطبعة الثبات بدمشق .

(٥) المرجع السابق .

(٦) شوقي شاعر العصر الحديث لشوقي ضيف ص ١٨٨ ــ ١٩٩ ط : دار المعارف بمصر .

(٧) المرجع السابق (فصل المسرحيات) .

(٨) احمد شوقي امير الشعراء ، لفوزي عطوي ، ط : الشركة اللبنانية للكتاب .

جدة ــ السعودية — فاروق صالح باسلامة

غمامات صيف

مي ناصر بدوي

الدار البيضاء - المغرب

عندما افكر فيك
احب كل البشر
واعطي لنفسي
حق لثمك حتى السكر
عندما افكر فيك
ارى الغابات الموحشة
جنة خضراء .. زاهرة
ويتحول ليلي الى نهار
لا .. غروب بعده
والريح تلفحني وئيدة
حتى اصوغ من غمامات الصيف
لك قصيدة
غدا .. ساعود الى بلاد غريبة
خلفت فيها .. اهلا واحبابا
سأعيش في افراح الماضي
ذكريات .. عديدة ..
ساحمل في غربتي ..
رسمك هدية غالية اثيرة
انت مني عطر الشذى
وانا من حلم ارضي غريبة
تحترق اصابعي
تحتضر الكلمة
أضم الحلم
اعيش لحظات الامل
تعود الحياة
انتعش .. ارتوي
اخفي الحزن
يطل الفرح
يتماوج في عيني
بريق غريب لم اتعوده
الملم اشلاء ابتسامة
ازرع اشواقي في الاحداق
تحترق الشفاه
اغرز اصابعي اكثر
اداعب الشعر .. الثم الثغر
ابتسم .. لهفة وضمة .. همسة وقبلة ..
وتفرح الاقدار



عجاج نويهض

الأديب الخطيب المؤرّخ البحاثة

بقلم وليم صعب
صاحب مجلة « البيدر »

* * *

من وحي التوجيه الذي تصدّر عدد (الاديب) السابق في صفحة غلافه الاولى كان هذا المقال . والتوجيه المذكور مأخوذ من المقدمة التي وضعها الاستاذ عجاج نويهض لمجموعة من منتخبات الاحاديث اصدرها عام ١٩٤٢ باسم (حديث الاذاعة الفلسطينية) وهي الجزء الاول من « كتاب يحتوي على المختار من الاحاديث المذاعة من دار الاذاعة الفلسطينية لعدد من العلماء والادباء في البلاد العربية » . اما مقدمة هذا الكتاب الذي اهداه الينا ناشره سنة ١٩٤٢ فتحمل توقيعه « عجاج نويهض مراقب البرامج العربية والنشر في دار الاذاعة الفلسطينية » ، وهي التالية :

« بلغك ، ولا ريب ، اننا في فجر عصر المذياع ، وان هذه الآلة العجيبة ، وليدة العلم الحديث ، ــ « وما اوتيتم من العلم الا قليلا » ــ فاقت كل مخترع سابق رآه الناس حتى اليوم، في ان تكون ارقى اسباب التواصل بين الامم بثوان ، وان تجعل المعمور الانساني في مسمعك، وعما قريب على مرأى منك ، في لحظات هي اعجل من لمحات البصر . فالمذياع رسول انقلاب في البشر ، لا يعلم الا الله مدى حدوده وانبساط آفاقه .

ومهما يكن للمذياع ، اليوم وغداً ، من شأن عظيم في احداث الانقلاب في المجتمع فمن اخص ما نرى من مميزاته ان له رسالة مقدسة كتب عليه ان يؤديها الى الامم والى العرب في جميع اقطارهم ، الا وهي رسالة نشر الثقافة الصحيحة بأوسع معانيها . ويشترك ، في هذا ، العالم والمؤرخ والاديب والكاتب والشاعر والباحث والناقد والممثل والمغني والمطرب من رجال ونساء .

حديث المذياع ، بمعناه الثقافي ، لا تجزل فائدته ، اذا اقتصر فيه على الاذاعة ثم طوي في خزانته بحيث لم تدم حياته الا خمس عشرة دقيقة أثيرية طلقة في الهواء ، بل يجب ان (يجلس) هذا الحديث مع الكتاب في المكتبة الى ما شاء الله . واذا كان من غاية الكتاب البقاء فينبغي ان يكون للحديث سبيل الى البقاء كذلك ، اذ غايتهما واحدة ، وما الفرق بينهما الا في عدد الصفحات . فحديث الاذاعة انما تغدو فائدته اشمل ونفعه اعم اذا وضع في متناول اوسع ، فيقدم الى القارىء كما قدم الى المستمع، وقد يكون قارئه ممن سمعوه من قبل . وتحقيقاً لهذا الغرض ، الذي نعتقده واجباً علينا في سبيل خدمة الثقافة العربية العامة ، رئي ان تجمع هذه الاحاديث المختارة وتطبع وتوضع في أيدي الناس ، كل طائفة منها في كتاب على حدة ، على ان تصدر هذه الكتب من حين الى آخر فتتألف منها كلها سلسلة تطرد في الصدور ما امكن السبيل الى اطرادها .

وهذا هو الكتاب الاول من نوعه نقدمه الى القارىء العربي الكريم والقارئة العربية الكريمة ، واما ترتيب احاديثه فقد روعي فيه ، على الغالب ، تاريخ الاذاعة . واما الوان البحث وصنوف الكلام فانما ، وان احتشدت في بعض اقسام الكتاب دون بعض فقد كان الداعي الى ذلك ضرورة استيفاء البحث من جميع اطرافه حتى تكون صورته اتم واكمل . واما الاجزاء التي تتلو فسيراعى فيها من تنويع البحوث ما لم يتسع المجال له في هذا الكتاب الاول . وعلى كل فان (حديث الاذاعة) ، وصاحبه يتوخى غاية ثقافية ، لا يحصر في موضوع ولا يقيده لون لان الثقافة تكاد عناصرها لا تحصى ، وهي بحر لا ساحل له . وانما يجد المطالع في هذه الاحاديث صوراً معاصرة لطرائف البحث والتفكير والتحليل .

غير ان هنالك امراً لا بد من الاشارة اليه وهو ان هذا الكتاب الاول من هذه السلسلة قد مثلت احاديثه حظاً طيباً من الانتاج الفكري لرهط كريم من علماء العرب وادبائهم واديباتهم ، لا في فلسطين حدها بل في الاقطار العربية المجاورة . ولا يبعد ان نرى ، في المستقبل القريب ، (حديث الاذاعة) يمثل ، في شرقنا العربي هذا ،

نزعة الفكر في مختلف الاقاليم والحواضر والعواصم من القدس ودمشق وعمان وبغداد وبيروت والقاهرة ومكة والرياض وصنعاء واليمن والخرطوم وغيرها .

وكأن الشاعر ، في الزمن السابق ، قد الهم الاشارة الى عصر المذياع لما قال :

غنت سليمى في الحجاز فاطربت مع بعدها اهل العراق نشيدا
ولو انها رقصت بمصر فقد ترى في اصبهان لقدها تأويدا

اما الذين نشرت احاديثهم في هذا الكتاب ، جزئه الاول ، فهم ، وفقا لتسلسل اثباتها :

عبد اللطيف الطيباوي (الجيش في الاسلام) و (التربية والتعليم في العصور الاسلامية) ، محمد عبد السلام البرغوثي (ديار العرب والاسلام) ، الشيخ سليمان الجعبري (احاديث اسلامية في الاخلاق والآداب) عباس محمود العقاد (الحرب بعد اثني عشر شهرا وستة اسابيع) ، ابراهيم عبد القادر المازني (العرب وموقفهم من الحرب الحاضرة) و (العرب وموقفهم من النازية والفاشستية) ، عبد العزيز البشري (الدولة الاموية) ، محمد كرد علي (هل تمدنا ؟) ، خليل تقي الدين (ليل الانحطاط وفجر النهضة) ، نسيم يزبك (نظرة في مستقبل العرب) ، اسمى طوبى (الى الام العربية) ماري صروف شحادة (التربية في الاسرة العربية) ، قدسية خورشيد (شخصية المرأة) ، خليل بيدس (الى فتياتنا) و (البطلة) .

يقولون : « هذا اديب ملهم » و « ذاك شاعر ملهم » ، ولا مبالغة مطلقا في النعت . ولعل شاعر العربية الاشهر كان له من هذه الناحية لقب (المتنبي) الذي طغى على اسمه ، فالاديب والشاعر الشاعر يلمحان من خلال رؤى الالهام ، ما لا يتمكن سواهما من رؤيته ، فتتكشف لبصائرهم وبواصرهم اشياء لم تعرف بعد وهي موجودة ومخبوءة . وقد انكشف لعجاج نويهض ان « المذياع ـ هذه الآلة العجيبة ـ ستجعل المعمور الانساني عما قريب على مرأى منك » .. لقد تراءى له التيليفيزيون قبل ظهوره ، كما تراءى المذياع والتيليفيزيون للشاعر العربي القديم في بيتيه اذ رأى أن سليمى التي غنت في الحجاز قد اطربت اهل العراق مع بعد المسافة بين البلدين ، كما رأى انها لو رقصت في مصر لرأى الناس تأود قدها في أصفهان . والغريب العجيب ان قول الشاعر العربي القديم جاء قبل قرون من ظهور المذياع والتيليفيزيون .

وما لا نوافق عليه الاستاذ نويهض في مطلع مقدمته قوله : « ان هذه الآلة العجيبة وليدة العلم الحديث ، فاقت كل مخترع (بفتح الراء) سابق » . أما عدم الموافقة فهو على كلمة (مخترع) ، وكثيرا ما جاء استعمال هذه الكلمة على اقلام الكتاب والعلماء وهو لا يدل على الواقع ، فجميع اولئك الذين يسمونهم ، خطأ ، (مخترعين) ليسوا ، في الحقيقة ، الا مكتشفين ، وجميع تلك الاشياء التي يطلق عليها ، خطأ ، اسم (اختراعات او مخترعات) ما هي ، في الحقيقة ، سوى الاكتشافات ، فالله ، جلت قدرته ، اوجد كل شيء في هذا الكون وهذه الطبيعة ، والانسان ، عندما يتوصل الى معرفة شيء كان مجهولا ، انما يكون قد اكتشفه لا (اخترعه) . الم ير بطرس تلميذ المسيح الذرة منذ ما يقارب الالفي سنة بالرؤيا والالهام وذلك قبل عشرات القرون من اكتشافها اذ تحدث عنها قائلا : « ولكن سيأتي كلص في الليل يوم الرب الذي فيه تزول السماوات بضجيج ، وتنحل العناصر محترقة ، وتحترق الارض والمصنوعات التي فيها » .

تعرفي بالاستاذ عجاج نويهض يعود الى سنة ١٩٢٤ وكنت ، في ذلك الحين ، اشرف على القسم الشعبي في الاذاعة اللبنانية التي كانت تحمل ، آنذاك ، اسم (محطة راديو الشرق) ، وكان صاحب (الاديب) الاستاذ البير اديب مدير القسم العربي في هذه الاذاعة التي رافقها منذ نشأتها مؤسسا اذ طلب اليه ذلك ، وهو المعروف بمقدرته الادارية وذوقه الفني والادبي والشعري ، وزوجه المثقفة السيدة (كاميل) ابنة الموسيقار الشهير الشاعر اسكندر الشلفون . وكان الاستاذ عجاج نويهض مراقب البرامج العربية والنشر في دار الاذاعة الفلسطينية ، وهو اداري حازم وذو ذوق فني وادبي وشعري ، وزوجه السيدة (جمال) شاعرة بالعربية ولها ديوان ، وهي ابنة الدكتور يوسم سليم من بلدة (جباع) في الشوف ، وشقيقها فؤاد سليم مجاهد وطني استشهد في سن الثلاثين في الثورة التي اعلنها سلطان الاطرش ضد فرنسا سنة ١٩٢٥ .

حركة ادبية ثقافية جبارة قام بها كل من البير اديب في (محطة راديو الشرق) ، وعجاج نويهض في (الاذاعة الفلسطينية) ، وكان البير اديب اول من اوجد برنامج الربع ساعة في الاذاعة العربية . وبالرغم من ان الحرب العالمية الكبرى الثانية كانت في اوج احتدامها ، والفرنسيون في لبنان والانكليز في فلسطين ، فقد تمكن (اديب) و (نويهض) من العمل لمصلحة لبنان وفلسطين والعالم العربي باضفاء روح الوطنية الاستقلالية المتحررة على الاذاعتين مع انهما عملا في ادق الظروف حرجا .

وهذه لمحة خاطفة عن عجاج نويهض :

ولد في بلدة (راس المتن) في شهر ايلول من سنة ١٨٩٦ . بعد دراسته اثناء طفولته في مسقط راسه انتقل الى ثانوية الصبيان العليا الانكليزية في برمانا ، ثم الى مدرسة سوق الغرب الثانوية التي نال شهادتها النهائية .

ولنرافقه الآن في بعض ما تحدث به عن استاذه الاول في مدرسة راس المتن ، وهو الاستاذ طانيوس قرطاس ، وفي هذا الحديث ما فيه من براهين ساطعة على وفائه واحترامه للذين درس عليهم في زمان كاد ينعدم

فيه الوفاء والاحترام :

« المعلم طانيوس قرطاس اصله من بسكنتا . و (المعلم) لفظة يحل محلها اليوم (الاستاذ) . وكان وسطا في قامته ، حنطي اللون ، ربما يميل بمجموعه الى قليل من البدانة ، أسود العينين ، واسعهما ، تقرأ في نظراته شيئين هما عندي الابجدية الانسانية الفطرية الاولى . لمعان كهربائي هادىء يدنيك منه ، ولا يقصيك عنه ، وحنان انساني يأسرك من حيث لا تدري . طبعا يعتمر الطربوش خارج المدرسة ، وطربوشه غير مقشش ، اني اصفه اليوم (١٩٧٣) وآخر عهدي به ان زرته في برمانا سنة ١٩٢٣ وزارني في القدس ١٩٣٣ لما كنت اصدر مجلة (العرب) . احاول ان اصفه في اطار واقعي . كان المعلم طانيوس ـ وكان يفرق شعره من وسط راسه على ما اذكر وهذا هو زي مفرق الشعر في تلك الايام ـ اديبا عربيا متقنا للعربية لغة وشعرا وانشاء . واني، الى هذهالساعة، لا ادري درجة تحصيله ، ولا كان يهمنا ان نعلم هذا ونحن الطلاب ، وقتها ، لا ندري من كنه الدرجات العلمية الا ما نسمعه من افواه الناس ، فيقولون (دكتور) وهذا في الطب . ثم صرنا نسمع بحرفي (ب. ع.) ومعناهما بكالوريوس علوم . ثم صرنا نسمع بحرفي (م. ع.) وقالوا ان معناهما معلم علوم ، وهي اعلى من اختها السابقة . ولكن تعليم المعلم طانيوس لنا كان ، في نظرنا ، الكمال ، ولا ننظر الى ما هو ابعد من ذلك .

وكان المعلم طانيوس قرطاس معلما وابا وصديقا مخلصا . لم ار في حياتي بعد ذلك في برمانا وسوق الغرب من يفضله في طريقة التعليم وهي جعل عقل الطالب ـ طبعا عقل الطالب الطالب للعلم ، لا الراكد الذهن خامله ـ يمتص الدرس امتصاصا هاضما ، معطيا للطالب الشعور بنفسه انه ارتقى بهذا الدرس درجة وزادت ثروته .

والثقة بين المعلم والتلميذ هي أساس النجاح في التحصيل كما تذوقت هذا في راس المتن ، وهذه الثقة يبداها المعلم . لا التلميذ ، ومتى رسخت صار الدرس في اي موضوع كان سهلا .

قبل ان اصف اشياء اخرى مهمة في طريقة التعليم عند المعلم طانيوس قرطاس علي ان اتذكر تعلم الخط : العربي والانكليزي . فالخط العربي كانت له دفاتر فيها نماذج للخط ، وعلى الطالب ان يكتب ان ينسخ الكلام نفسه سطرا بعد سطر ، مراعيا قواعده التي عليه ان يتقنها . والقلم في القرية (غزار) . ومن يحسن بريه وقطه فنيا غير المعلم طانيوس في راس المتن كلها ، لا في المدرسة . ولم يكن في ذلك الوقت (قلم الحبر) قد انتشر في القرى . واذكر ان اول قلم حبر اشتريته ، وهو من نوع بدائي . من (دبر القمر) بربع مجيدي . وبقي عندي سنين . والصحيح ان عصر (قلم الحبر) هذا قضى على (درس حسن الخط) . وخطوط معظم الشباب اليوم ، اشبه بالخربشات منها بخطوط تقرأ .

كان المعلم طانيوس ـ طيب الله ثراه ـ حتى يعلمنا غيبا مبادىء صغيرة في حفظ الصحة ووظائف الاعضاء ، يلخص ذلك في جمل قليلة المباني غزيرة المعاني . ولا ازال احفظ ، حتى هذه الساعة ، الجواب على سؤال « ما هي فوائد الاسنان للانسان ؟ » ـ اولا : انها تحافظ على استدارة الوجه ، ثانيا : تساعد على لفظ السينات ، ثالثا تساعد على مضغ الطعام .

علم الصرف كان يلخصه المعلم طانيوس تلخيصا بديعا ، ونحفظه غيبا حفظا كجدول الضرب واجوبة الجغرافية . عندما انتقلت سنة ١٩١٢ الى مدرسة برمانا الداخلية كنت لا اعرف من النحو شيئا لاني ما وصلت الى النحو عند المعلم طانيوس في راس المتن . وليس هذا المهم ، بل المهم ان الصف الذي كان اعلى من صفنا في راس المتن كان قد اصبح يعرف النحو والاعراب ، والسبب في هذا ان طريقة المعلم طانيوس في تعليم قواعد العربية كانت مبنية على الفصل التام بين تعليم الصرف وتعليم النحو ، وانا نشأت على هذه القاعدة ، ولا اؤمن ذرة بتعليم الصرف والنحو معا على ما شاع في بعض المدارس بعدئذ . فأتقنا الصرف اتقانا حسنا جدا ، وكنت اعتقد وانا اتباهى بعلم الصرف ، أن ليس هنالك علم ادق منه ولا الذ ولا أشرف على وجه الارض في راس المتن. فهناك تصريف الافعال ، والمزيدات ، والافعال الناقصة ، والناقصة على نوعين . وهنالك ان تحفظ غيبا : فعل ، افعل ، فاعل ، تفاعل الى أن تصل الى افعوعل ، افعلل، افعنلل ، وتعرف المثني ، والجمع ، والجموع المكسرة والسالمة ، والمصدر ومشتقاته من فوق الثلاثي ، والسر العجيب في مصدر المرة ، ومصدر النوع ، والصفة المشبهة ، واسم المكان والزمان ، واسم الآلة ، والمذكر ، والمؤنث ، والنسبة ، والتصغير . واشد ما اعجبني من التصغير ان تصغير (ناهض) هو اسم عائلتي . ثم الاعلال الفظيع الغريب البديع الاسرار ، فان أفتعل من (طرد) هو (اطرد) ، لا (اضطرد) كما يخطىء فيه كثير من الكتاب .

المعلمون الذين اخذت عنهم الصرف والنحو في لبنان هم ثلاثة : المعلم طانيوس قرطاس في راس المتن ، والمعلم نجيب شمعون في برمانا ، والمعلم نجيب حتي في سوق الغرب .

اما المعلم طانيوس فآخر رؤيتي له سنة ١٩٣٣ في القدس ، والمعلم نجيب شمعون ١٩١٤ في برمانا ، والمعلم نجيب حتي ١٩٤٩ في شملان ـ رحمهم الله جميعا » .

نعود الى عجاج نويهض بعد تخرجه في ثانوية سوق الغرب ، ففي تشرين اول من سنة ١٩١٨ بدا حياته العملية في حكومة الملك فيصل العربية في دمشق مع

ساطع الحصري وزير المعارف آنذاك ، ثم تعاطى التعليم في (مدرسة عنبر السلطانية) في دمشق ايضا ، وكان رفيقه في التدريس النابغة حسن كامل الصباح الذي كان يدرس مادة الرياضيات في المعهد ذاته باللغة العربية .

سنة ١٩٢٠ توجه الى فلسطين وعمل مدة سنتين موظفا في حكومتها ، وترك العمل لخلافه مع اليهود ، فانصب على ترجمة كتاب (حاضر العالم الاسلامي) الذي وضعه مؤلف اميركي .

وعام ١٩٢٥ أسندت اليه وظيفة في المجلس الاسلامي الاعلى الذي كان يرئسه الحاج امين الحسيني ، واستمر في وظيفته هذه حتى سنة ١٩٣٢ ، وفي هذه الفترة درس المحاماة مع تعاطيه الوظيفة .

من ١٩٣٢ الى ١٩٣٤ اصدر في القدس مجلة (العرب) اسبوعية مصورة ، وكانت لها مطبعة خاصة .

سنة ١٩٣٦ اعتقل لمدة ستة اشهر بسبب نشاطه الوطني .

سنة ١٩٣٩ فاوضته حكومة فلسطين لتسلم الاذاعة العربية فصارح مفاوضيه بأنه ينتمي الى حزب سياسي هو (حزب الاستقلال) المناوىء لهم والعامل ضدهم ، وبأنه لا يعمل موظفا معهم مذكرا اياهم بأنهم اعلنوا ، عند بدء الاذاعة الفلسطينية بالبث عام ١٩٣٦ انهم سينيلون العرب حقوقهم . وبعد اخذ ورد طويلين وبعد موافقة اخوانه ورفقائه السياسيين الاستقلاليين وضع شروطا لقبوله تسلم القسم العربي في الاذاعة ، هي التالية :

١ ــ تخصيص بناية لقسم العربي ، وموازنة له مستقلة .

٢ ــ لا دخل للحكومة بالبرامج العربية .

٣ ــ عدم اذاعة شيء يعتقد انه يمس بمصلحة العرب .

٤ ــ لا دخل للحكومة بالموظفين والفنانين .

٥ ــ الحكومة تقدم الموازنة المالية والاجهزة الفنية فقط .

وقبلت شروطه كلها ، وباشر العمل سنة ١٩٤٠ بصفة (مراقب البرامج العربية والنشر في الاذاعة الفلسطينية) بحسب طلبه .

ولما استقل القسم العربي في الاذاعة الفلسطينية على هذا الشكل تمكن من ان يسير في عمله سيرا حراً مدة اربع سنوات متتالية وصلت فيها تلك الاذاعة الى ذروة الانتاج والشهرة .

وامتازت برامج القسم العربي في هذه السنوات الاربع :

١ ــ تمتين الوحدة الوطنية في فلسطين .

٢ ــ بتقوية روح الوحدة العربية الكبرى .

٣ ــ بدعوة اكبر عدد ممكن من ادباء العالم العربي في لبنان والشام وفلسطين ومصر والعراق .

وعندما اجرت محطة الاذاعة البريطانية (ب.ب.ث) مسابقة شعرية طلبت الى القسم العربي في الاذاعة الفلسطينية اجراء التحكيم في هذه المسابقة فاتصل الاستاذ نويهض بالشعراء : فؤاد الخطيب والاخطل الصغير وجميل مردم ، فتوجهوا الى دار القسم العربي في الاذاعة الفلسطينية وقاموا بتلك المهمة .

ومن العلماء الذين ساهموا في برامج هذه الاذاعة : الشيخ عبد العزيز البشري ، عباس محمود العقاد ، ابراهيم عبد القادر المازني ، الدكتور عوض محمد ، محمد كرد علي رئيس مجمع اللغة العربية في دمشق ، شفيق جبري، خليل تقي الدين ، نسيم يزبك ، الشيخ مصطفى الغلاييني ، الشيخ طه الراوي ، وبعض الشعراء ــ هؤلاء كان يدعوهم القسم العربي دعوات خاصة فيأتون الى القدس ويقضون اسبوعا على الاقل ضيوفا على الاذاعة وكانت تقام لهم ، على الغالب حفلات تكريم .

وهناك كثيرون من الشعراء الذين ساهموا في القسم العربي دون ان يحضروا الى القدس ، وذلك بتقديم مختارات من شعرهم ، ومنهم الشاعر الناشر اللغوي امين ناصر الدين .

من ١٩٤٥ الى ١٩٤٨ فتح مكتبا للمحاماة في القدس . وفي العام ١٩٤٨ استدعاه الملك عبد الله الى الاردن ليكون مساعدا لرئيس الديوان الملكي ، وكلفه ادارة الاذاعة الاردنية الهاشمية التي كان مقرها مدينة (رام الله) . وآخر وظيفة حكومية تسلمها كانت مديرية المطبوعات في المملكة الاردنية الهاشمية وذلك سنة ١٩٥١.

سنة ١٩٥٩ عاد نهائيا الى لبنان حيث يقيم الى الان في بلدته ومسقط راسه (راس المتن) في منزل رائع بموقعه البديع وحديقته الغناء ، وهو يشرف على مناظر اخاذة ، وتحيط به وتظلله اشجار الصنوبر الباسقة الدهرية ، وتتمايل في احواضه الازهار الفتانة بمختلف انواعها والوانها ، وتلك الحديقة النادرة المثال من تصميمه وتصميم شريكة حياته ، وكلاهما معروف بالذوق الرفيع والحس المرهف والذوق الفني .

اما مراحل عمره حتى العام ١٩٧٠ فنراه قد قسمها عقودا انطلاقا من عهد تلمذته الابتدائية على يد المعلم طانيوس قرطاس ، وذلك في قطعة بعنوان (صراع مع هذا القزم الصفر) كتبها في شهر نوار من سنة ١٩٧٠ وضمنها لمحات تاريخية ووصف دقيق رائع تشيع فيها وفيه روح الاديب الفنان . ويجد القارىء في آخر مقطع ما يستدل على انه من عنصر الالهام ورؤية الامور قبل بروزها بالبصيرة الكاشفة :

« اول ما اطل علي هذا الخبيث المنافق كان على اليمين مني ، وهو الى جانبه عصا . العصا كانت وحيدة، واسمها (واحد) واسم القزم مع هذا الواحد (عشرة) اذا كتبت بالحروف و (١٠) ــ هكذا ــ اذا كتبت بالارقام.

ووقتئذ لن اكن آبه للرجلين الواقفتين في الصف ، وهما (١٩) اذ نشات على رؤيتهما كل يوم ، ولم اكن ادري انهما بطيئتان فلا تتحرك اعصابهما شيئا . وكنت في المدرسة الابتدائية فسألت الخبراء عن هذه (التسعة عشر) الى جانب (العشرة) فانها تتغير كل ١٢ شهرا مرة ، واما (التسعة عشر) فانها تتغير كل ١٢٠٠ شهر مرة .

وكان يهمني ان اتقن حفظ جدول الضرب وقتئذ عند المعلم طانيوس قرطاس في (راس المتن) أكثر ما يهمني ان افهم معنى تغير (التسعة عشر) كل الف ومائتي شهر مرة . وشيئا فشيئا صرت الاحظ ان هذه (التسعة عشر) لا تخيف ، وانما الذي يخيف هو (العشرة) لانها ، بعد ١٢ شهراً ، تحولت (الالف) او (الواحد) الى (اثنين) - ٢ - ثم بعد ١٢ شهرا اخرى تحولت الى (ثلاثة) - ٣ - ولما بلغني النبأ العظيم ، لاول مرة ، ان كل عشر سنوات تسمى (عقدا) ، وان المئة سنة مؤلفة من عشرة عقود ، صرت انظر الى (١٩٥٠) ، مثلا ، او (١٩٦٠) ، بخوف تارة ، وبحب الاطلاع طورا ، لاعلم ما في جوف الخمسينات والستينات ، وهما ، في نظري ، ابعد من القمر الذي بات اليوم ، سنة ١٩٧٠ ، اذ استقبل (راية الخطوط والنجوم) اول مرة في حياته وحياتها ، فانه رفض ان يستقبلها ثاني مرة .

بعد قليل اكتشفت ان معنى (قرن) مئة سنة ، فأضفت هذا الى معنى (عقد) ، فأصبحت ذا ثروة ادبية اعلو بها على كل (يازجي) رآه لبنان . وحب المزيد من ثروة (الادب) فيه اغراء كالذي في حب المزيد من ثروة المال ، فقد سألت معلمي : ما معنى (الجيل) ؟ فقال : الجيل ليس له ميزان يحدده كـ (القرن) و (العقد) ، فأقله ٣٣ سنة ، ومعظمه ١٠٠ سنة . وتفكرت فوجدت ان الجيل ارخص سعرا في الادب ، فهو يدخل في معنى (الزمن) ويعطي معنى مرحلة من (الدهر) ، وكان هذا اجتهادا مني لا اكثر . ولم اكن قد عرفت معنى (المعجم) بعد ، ولكني كنت اسمع ، مثل ما يسمع غيري ، ان هناك قاموسا اسمه (قطر المحيط) ، و (محيط المحيط) لرجل عظيم اسمه بطرس البستاني . وهذه الالفاظ من قاموس ، وقطر المحيط ، ومحيط المحيط ، كانت ، في نظري ، طلاسم ، واشياء لا تفهمها الا العقول التي تبلغ من العمر الخمسين والستين ، فابتعدت منها ورزقي في المدرسة على الله .

لما انتهت الحرب العالمية الاولى في خريف ١٩١٨ كنت في طريق (الحكم الذاتي) لنفسي : الحرية ، الاستقلال ، الدنيا كلها كأنها لي - وكنت قد نلت شهادة (مدرسة سوق الغرب) ، وصرت تلميذا صغيرا لقطر المحيط ومحيط المحيط ، ورأيت ، بعد المعلم طانيوس قرطاس في راس المتن ، المعلم نجيب شمعون في برمانا ، والمعلم نجيب حتي في سوق الغرب . وجدول الحساب ، وحفظه غيبا في راس المتن ، حل محله علم (الجبر) بالانكليزي في سوق الغرب . هذه (الفتوحات) العلمية كانت ، في نظري ، اهم من فتوحات نابليون . وصرت اذا تطلعت الى صفر : صفر من اليمين يليه الى اليسار واحد ، وبعد الواحد تسعة ، وبعد التسعة واحد - ١٩١٠ - ، وتذكرته قبل انتمائي الى المدرسة الداخلية في برمانا ، بدا لي انه لعبة صغيرة . وكانت كلمة (القرن العشرين) على اشد ما يمكن من التبختر واظهار السواعد المفتولة او قوة العضل . وبينما انا في دمشق ايام فيصل بن الحسين ، والامور بين العرب وفرنسا ، او غورو وميسلون على اسوأ ما يكون ، اذا بشيء آخر اهم كثيرا زحف بسكون وهدوء ، وفي دقيقة واحدة احتل العالم ، الكرة الارضية كلها ، باريز ودمشق ، غورو وفيصل (١٩٢٠).

اذا مضى العقد الثاني من القرن العشرين . اني انذر القارىء بأن يدير باله وهو يقرا هذا الكلام : بين ١٩٢٠ و ١٩٧٠ خمسون سنة - نصف قرن - خمسة عقود - ستمئة شهر .

سنة ١٩٣٠ كنت في فلسطين ، فرايت ان (الزمن) او (الجيل) او (الروزنامة) - كل هذا يسرقني سرقة متمادية ، وسألت نفسي ، دون ان يدري احد ، أانا اركض في ميدان القرن العشرين ، أم الزمن نفسه يركض؟ فقررت واقترعت على صحة تقريري (كل عجائز وائل) من طورس الى رفح ، ومن الموصل الى الدار البيضاء ، اني لا اركض ، بل الزمن يركض . وكان (المنفلوطي) ، صاحب كتاب (النظرات) الرقيقة ، قد مضى على وفاته ست سنوات ، وله ، في كتابه هذا ، مقال يخاطب فيه الشعرة البيضاء التي لمحها في صدغه لأول مرة . وكنت ، وانا في لبنان ايام المدرسة ، شديد الاعجاب - وحتى الى اليوم - بالمنفلوطي . وكانت مناجاته للشعرة البيضاء الاولى تنال استحساني انشاء وتعبيرا . واما الشعرة البيضاء نفسها فقد عددتها من الوهم او الحلم ، والواهم والحالم هو المنفلوطي لا انا . واما في أعمق طبقة من قرارة نفسي فقد بدأت في الدقيقة الاولى بعد منتصف ليل آخر كانون أول ١٩٣١ وفي الثانية الاولى من تلك الدقيقة احس واشعر بأن المنفلوطي لم يكن واهما ولا حالما ، بل الواهم والحالم هو انا .

بين (١٩٣٠ - ١٩٤٠) رحبت بالعقد الرابع واعطيته كل (اهلا وسهلا) . وفي خلال هذا العقد حصل انقلاب راديكالي شتت كل (روزنامات) الارض وجعلها شذر مذر . لباب الانقلاب ان عيني تفتحت على باهرة الحقائق وساحرة كل عاشق ، والمسؤولية على كل قلب خافق ، لا تجدي معها ضراعة ولا شفاعة ، ولا هي تقيم وزنا لحبيب متيم مقيم او مفارق ... وجدت اني انا الذي يركض ، لا الزمن ، فعدت استغفر الله مما كان مني نحو المنفلوطي . ومن باب التمهيد لهذا الاستكشاف الرهيب

ان . في سنة ١٩٢٩ ، اقام المجلس الاسلامي الاعلى في القدس – رئيسه الحاج محمد امين الحسيني ، حيث كنت اعمل ، مهرجانا عربيا اسلاميا ضخما ، احتفاء بانتهاء عمارة المسجد الاقصى المبارك ، وهو مشروع استنفد لا اقل من سبع سنين في ادق عمل هندسي في العصر الحديث ، على يد المهندس التركي العالمي المشهور (كمال بك) . ودعيت الى المهرجان الوفود من لبنان وسورية والاردن والعراق ومصر ، وكان المهرجان ناجحا نجاحا ذعر منه اليهود . وممن اتى من مصر مدعوا احمد شفيق باشا وهو من شخصيات مصر منذ ايام (اسماعيل) وكانت مذكراته الخطيرة قد صدرت قبل ذلك الوقت ، وعنوانها (ذكريات خمسين سنة) ، او مذكرات خمسين سنة . ولم اكن قد اجتمعت بالرجل من قبل وهو ممن خدم (خديوية) مصر زمنا طويلا ، ودوّن في ذكرياته من الحوادث والامور ما له دوي . واجتمعت به في القدس ، ولكن المسألة التي كانت تقيمني وتقعدني ، من جهة احمد شفيق باشا صاحب نصف القرن من الذكريات لا المدون في الذكريات من حوادث وامور واسرار ، بل ان اعلم عمر الرجل عن طريق (العقد) و (الجيل) وكيلومترات القرن . وهو – رحمه الله – كان من فرسان القرنين : التاسع عشر والعشرين، وهذه الخضرمة ذات شان عند كل من يهمه ما قال المنفلوطي في الشعرة البيضاء الاولى ، ثم صارت الثانية .. فالثالثة .. فالعاشرة .. فالمئوية .. فالالفية .. ولا اعتقد انها بلغت المليون .

وكان احمد شفيق باشا ، وقتئذ ، قد غزته شعرات المنفلوطي اي غزو ، وكأن رأسه قطعة من صنين ، او اضمامة اقحوان ، فرحت اسأل نفسي : المذكرات او الذكريات تتكلم عن خمسين سنة ديوانية ؟ فمتى ولد الرجل ؟ وكنت اخشى ان اسأله او ان اسمح لنفسي بأن تحزر حزرا ، فان قلت : نضيف الى الخمسين عشرين فالمجموع سبعون ، ولكن لا يعقل ان الرجل اصبح في ديوان الخديوي وهو ابن عشرين . وان قلت : نضيف ثلاثين فالمجموع ، وهو ثلاثون ، شيء يدخل في خلود (الاهرام) . ولكن كان الرجل ، وقتها ، يرتدي بذلة (سبور) الى الركبتين ، وكله نشاط ، ولعل عنوان الخمسين سنة على كتابه بمثابة ابرة من عدة (فيتامينات) تدفع به الى الامام .

لما دخلت (١٩٧٠) هذه اخذت اواجه صعوبة اواجهها في مطلع كل عقد . اما (١٩١٠) فكانت اجمل الصفوف في نظري : هي اول سباقي ، ومنها الى مفترق طرقي . بقيت أحبها حبا جما ، واغازلها سنين عديدة .. هي اجمل ايام المدرسة الابتدائية في راس المتن عند المعلم طانيوس اللبيب الحاذق . ولكن السنتين اللتي قبلها (١٩٠٨ و١٩٠٩) هما غرة العقد الاول ، ولا نزاع، ففيهما وقع اعلان الدستور العثماني في المملكة العثمانية ، وبقيت الدنيا قائمة قاعدة لا اقل من ١٢ شهرا تغنيا بالدستور (الحكم النيابي او البرلماني) ، وبحروف فارسية كبيرة كنت تقرأ على الجدران في بيروت بالحبر الاسود :

تعلم يا فتى فالجهل عار ولا يرضى به الا الحمار

ولا اعتقد ان الحمار الدستوري بلغ من العز في ماضي تاريخه وفي سالف عصوره مثل ما بلغه من نهضته الادبية في هذا البيت . والشاعر مخطىء ، فالحمار ليس بجاهل اذ هو ، من مرة واحدة يتعلم .. ولكن ..

ولكن العقد الثاني كان في جوفه الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ – ١٩١٨) ، وكنت في المدرسة من هذه المدة سنتين . الشهداء في بيروت ، الجراد ، الجوع وصرعاه على ارصفة (ساحة البرج) ، فكنت ترى الجائع مرتميا على الارض والشحوب الاصفر والشعر الطويل يملآن وجها يهتز كورقة تشرين ، ولا يستطيع الوقوف من متناهي ضعفه ، وقد انتفخ بطنه ، وعيناه تتحركان ببطء ، يشير الى اللقمة ولا يقوى لسانه على لفظ اسمها، الباقي من روزنامة حياته ساعات ، وان طالت فيوم او ليلة .

(١٩٢٠ – ١٩٣٠) انكشفت عن خيانات دولية ، وعصبة اممية ، وحيل انتدابية ، ومخططات يهودية صهيونية ، وثورات عراقية وسورية ومصرية ، وسميت المدة التي بين آخر ١٩١٨ و ٣ ايلول ١٩٣٩ مدة ما بين الحربين وهي عشرون سنة .

(١٩٣٠ – ١٩٤٠) كانت اشد العقود عراكا في كل ميدان، واستعدادا للحرب الثانية . قام (هتلر) بمشروع تغيير خريطة العالم ، وكان موسوليني قد سبقه في هذا الميدان. اذا راعينا قاعدة (القدم والاولوية) فهتلر تلميذ موسوليني ، ولكن عنصر الجرمان غير عنصر التليان ، وكانت الحرب الثانية متممة للاولى .. حربان عالميتان في خلال ٣٠ سنة .

(١٩٤٠ – ١٩٥٠) افضت الى (الاورانيوم) وتفجيره ، ثم (هيروشيما) و (نيازاكي) ثم (هيئة الامم) تحمل اكفان (عصبة الامم) وتنادي عليها . ولكن الصهيونية كانت جادة في الحربين : الاولى والثانية ، ففي الاولى نالت (وعد بلفور) ، وفي الثانية نالت تقسيم فلسطين . وفي سنة ١٩٤٨ وقع الانقلاب الذي ابتدأ ولم ينته بعد .

(١٩٥٠ – ١٩٦٠) كانت وما تزال كلها (تفاعلا) رهيبا عجيبا في الامة العربية . في سنة ١٩٥٦ محاولة فاشلة .

(١٩٦٠ – ١٩٧٠) بدء الصواعق والرعود .

(١٩٧٠ – ١٩٨٠) هي حلبة السباق الكوني البشري مما لم يسبق له مثيل منذ عهد الطوفان . لا يغرنك الوصول الى القمر ، ولا الصواريخ الطائفة حول

الكرة الارضية .. قد تنتهي البشرية بخنق نفسها على محورها داخل مجالها ومدارهـا كما تنتهي دودة القز بالشرنقة تنسجها قبرا لها ، وقد تنجوا البشرية ، وتتحول الشرنقة الى خيوط من حرير ـ والى اليوم لم ير الانسان شيئا من اللباس انعم من الحرير ، ـ اذا استطاع ـ .

انظر : ان (السبعة) هي (ثمانية) مقلوبة الى فوق .. وانظر : ان الثمانية هي سبعة مقلوبة الى تحت .. اين مسرح (١٩٧٠ ـ ١٩٨٠) ؟ هو فلسطين » .

اما مؤلفات عجاج نويهض فهي التالية :

١ ـ المعربة :

أ ـ (حاضر العالم الاسلامي) الذي اضاف اليـه الامير شكيب ارسلان فصـولا زادت خمس مرات على الاصل ، وطبع ، حتى اليوم ، اربع مرات ، آخرها طبعة دار الفكر في بيروت ١٩٢٧ .

ب ـ (بروتوكولات حكماء صهيون) والتعاليـق عليهـا .

ج ـ العراق او الدولة الجديدة .

د ـ النظام السياسي ونظرياته .

هـ ـ (نفاق اليهود) للدكتور مارتن لوثر ، مـع اضافات .

٢ ـ الموضوعة :

أ ـ سيرة الامام السيد عبد الله التنوخي .

ب ـ ابو جعفر المنصور وعروبة لبنان .

٣ ـ تحت الطبع :

أ ـ فتح القدس .

ب ـ رجل من فلسطين .

ج ـ تراجم لا تحصى ـ وهذه التراجم والمقـالات المتعددة ، التي ظهر قسم منها في المجلات والصحـف في مختلف اقطار العالم العربي وفي المغتربات ، تؤلف عندما تجمع ، عشرات الكتب النفيسة التي لا غنى عنها للمكتبات وللدارسين والمدرسين نظرا للدقة والبحث وعمق التفكير التي رافقتها ، خصوصا ما يتعلق منها بالتاريخ .

وعجاج نويهض رغم بلوغه الرابعة والثمانين ـ اطال الله عمره المليء بجزيل العطاء ـ ما يزال يدرس ويمحص ويحلل ويترجم ويؤرخ ويكتب ، وقد اشتهر بغزارة مادته وسرعة خاطره وصفاء ديباجته ودقة تقصيه ، انه بحـر زاخر ، ذهن وقاد ، وقريحة متفجرة ، وينبوع معرفة ، وحركة لا تتوقف عن العمل والانتاج والبذل السخي ، بـ (ديناميكية) لم يوهب نظيرها الا القلائـل القلائل .

وهذه الديناميكية برزت بوضوح في اشرافه على القسم العربي في الاذاعة الفلسطينية الذي ادار اعماله بحنكـة ودراية ومقدرة ، جاعلا من نفسه مع اكثر من سبعـة وعشرين من العاملين في تلك الاذاعة ، بين ادباء وفنانـين ، اسرة واحدة تحترم رأس هرمها وتجله وتتعاون معـه بمحبة واخلاص وصدق عزيمة ، وكان في مقدمة معاونيه الشاعر الفلسطيني الشهير (ابو سلمى) . ومما سمعناه من تلك الاسرة ، عندما كنا نقوم الى جانبها بما كلفنا القيام به في النصف الاول من سنة ١٩٤٢ ، ان الاستاذ نويهض وضع غرامة نصف جنيه فلسطيني على كل كلمة يلحن بها مذيع ، وتعمد ان يبدر منه اول لحن فدفع النصف جنيه الاول مبتدئا تطبيق الغرامة على نفسه ، فتمكن بهـذه الوسيلة من تطبيقها على الآخرين ، وبهذا التدبير وبسواه مما ابدعه نويهض في الاذاعة برز القسم العربي في الاذاعة الفلسطينية ، فعندما تألفت لجنة اميركية لاستقصاء تأثير الاذاعات العربيـة في لندن وبرلين ومصر والسـودان وفلسطين والعراق جاء تقرير تلك اللجنة بأن القسم العربي في اذاعة القدس كان الفائز الاول في الامور التالية :

أ ـ سلامة اللغة العربية وحسن ادائها .

ب ـ التأليف بين المواطنين العرب على اختـلاف الاديان والمذاهب في المواسم الدينية لجميع الطوائف .

وكان من حسنـات القسم العربي في الاذاعـة الفلسطينية تخريج المذيعين تخريجا خاصا ، فبرع ولمع منهم ثلاثة يتباهى بهم ، هم : راجي صهيون ، علي مراد ، عقيل هاشم ، وقبلهم كان توفيق ابو الشريف .

ان المؤرخ المدقق البحاثة العلامة الاستاذ عجـاج نويهض ، الذي هو خطيب مفوه ايضا من الدرجة الاولى يرتجل بطلاقة وفصاحة وحسن بيان ، ليس مؤرخا ممتازا وخطيبا ممتازا فحسب ، بل هو اديب كبير من الطـراز الاول تطغى النزعة الادبية المميزة على كل ما كتـب في مختلف الموضوعات والاتجاهات فتمور بالحيوية والحياة والصور الجميلة الرائعة ، هذه النزعة الادبية الفنيـة الغنية التي غلفت جفاف السرد التاريخي وتغلغلت فيه فاخرجته بحلته البهية ادبا يتدفق نضرة واخضرارا .

والى جانب هذه المواهب الفائقة ، التي انعم عليه بها الله ، تبرز السجايا الرفيعة التي اغدقها الله عليـه ايضا ومنها المحبة ونقاء السريرة والتسامـح والوفـاء والصدق والاستقامة والنخوة والمروءة . اما قلبه فهو على لسانه في ملامح وجهه وفي لفتات عينيه ، انه العملاق والطفل معا ، العملاق بأدبه ونبوغه وعبقريته وبما انتج وقدم لامته ، والطفل ببراءته وسلامة طويتـه . والذين انعم الله عليهم بمحبة نويهض ومودته ـ وما اكثرهم ـ لا يتمكنون ، ولو مجتمعين من ايفائـه بعض افضاله ، ومنهم كاتب هذا المقال ، فالاستاذ نويهض كان الداعيـة الاكبر والعامل الامثل لاقامة اليوبيل الفضي لمجلة (البيدر) وذلك في نهاية سنة ١٩٦٣ حيث اقيم الاحتفال في قاعة سينما بيبلوس في بيروت بحضور ما يربـو على الالفي شخص ، وكان الاستاذ نويهض عريفه . ولما كان الاستاذ نويهض لا يستحسن ان ينشر له رسم في مطبوعة فقـد استعنا بأحد رسومه في حفلة ذلك اليوبيل ووضعناه في

راس هذا المقال وهو يمثله جالسا على المنبر بصفة عريف الاحتفال ومديره .

اننا، مهما كتبنا عن اديبنا ومؤرخنا الكبير، لا نتمكن من الاحاطة بعبقريته ومواهبه وسجاياه . وجل ما نتمناه ان تجمع كتاباته كلها ، وتنسق ، وتطبع ، فهي حصيلة اكثر من ستة عقود من السنين جاءت دراسات عميقة مليئة بالاختبارات والتاريخيات التي تحفظ تراثنا وتنقله سالما من جيل الى جيل .

وقد راينا ان افضل ما نختتم به هذا المقال هذه اللمحة التي كتبها الاستاذ نويهض في نيسان من سنة ١٩٧٣ بعنوان (راس المتن وزحلة) ، وهي تمثل روح التراث في شعبنا العريق، لعل بها درسا وعبرة، خصوصا في هذه السنوات المشؤومة التي مررنا بها والتي ما يزال جوها الفاسد ضاغطا على النفوس :

« عاش حياة مديدة تقارب المئة عام ، وكانت وفاته سنة ١٩١٣ ، ولا ازال أتمثله بغنبازه الابيض ، ولحيته الاقحوانية تملأ صدره .وكانت مهابة الشيوخ لا تفارق وجهه . ولا اذكر ان نظيري وقع عليه مرة وهو يبتسم او يضحك ، ولهذا سبب اذكره بعد قليل حسب تحليلي، لا وقتئذ ، بل لما كبرت وصرت قادرا على فهم صفات الرجال الافراد .

والشيخ محمد قبلان غرس الدين كان ، السنة المشؤومة ١٨٦٠، قد اجتاز الخامسة والاربعين ، وكان هو (حامل بيرق) راس المتن في الصدام الذي وقع في (حمى كفرسلوان) . وليس هذا المهم لنقول ان الرجل كان معدودا من الابطال ، فنحن في ١٩٧٣ . والبطولات اليوم ، على اختلافها ، ان لم تكن في فلسطين وفي وجه اسرائيل فهي ، في نظرنا ، من الاباطيل . وانما نشير الى هذه النقطة لان محمد قبلان ، بصفته حامل بيرق راس المتن وقتها ، نرى بطولته ارتبطت ببطولة زميل له مثله ومن طرازه ، في جماعة اخواننا اهل زحلة ، وقد كان بيرق من بيارق زحلة وصل (حمى كفرسلوان) ، وتقابل الفريقان ، وامام جماعة زحلة حامل البيرق ، صنو محمد قبلان ، ثم انظر في صميم الاخلاق اللبنانية تجدها جوهرا تراثيا لا يتغير .

اما عدم شيوع الابتسامات والضحكات على وجهه، وبدلا من ذلك اتباعه المظهر الرصين وهو فوق التسعين ، فعلى ما اعتقد السبب في ذلك انه لما كانت حياته كلها جدا مليئا معاناة للايام والمكاره فقد خفت من محياه البسمات، وعلته امارات الهيبة الصارمة . قد يكون الشيخ محمد قبلان غير ذلك من المرح والبهجات في ماضي حياته ، وانما اصفه كما ادركته في آخر ايامه وهو من الاوتاد والاعضاد. وكان يخرج من بوابة ساحة دارهم الى الطريق العام .

والبوابة قنطرة واسعة ، وبيده عصاه ، فاذا حييته رد التحية بأدب الكبير ولو كان محييه اصغر صغير . واما ذكر اسمه مجردا فكان يوحي للنشء الصاعد ان محمد قبلان كان من الابطال ، وكانت مشيته تدل على البطولة اذ بقي منتصب القامة طول حياته .

واليك قصة بطولة الخلق اللبناني الاصيل :

سبق ان قلت ان محمد قبلان كان حامل بيرق راس المتن في لقاء (حمى كفرسلوان)، فلما تلاقى الجمعان كان يفصل بينهما كوم من الحجارة ، ولكن ، مع هذا ، يستطيع كل فريق ان يرى وجوه الفريق الآخر لان المسافة بينهما ليست بعيدة : مرمى الرصاص ، ورصاص تلك الايام (الابراهيمية) ، لا اكثر ..

.. وانتهى كل شيء . وسكنت (الستون) . وعاد الناس كل الى قريته والى استئناف العلاقات بين هؤلاء وهؤلاء حتى كان سنة (الستين) لم تكن .

وكان محمد قبلان يتعاطى (المكاراة) . فبعد اشهر من سكون (الحركة) ذهب ببغله الى زحلة قاصدا صديقه السروجي الزحلاوي القديم ليصنع جلالا لبغله ، فاتفق مع السروجي على ذلك ، وربط البغل بقرب منه ، وجلس ينتظر انتهاء العمل ، وكل شيء مغرد مزقزق ، والاحاديث بينه وبين السروجي آخذ بعضها برقاب بعض .

وبينما محمد قبلان جالس جلسته عند صديقه السروجي الزحلاوي ، والناس رانحون جاؤون ، والدنيا بخير . اذا برجل زحلاوي يمر من امام دكان السروجي ويلقي بنظره على هذا الجالس عنده ، المعروف من لباسه انه من خارج زحلة . ولما تأكد من هو ، بعد تفرسه فيه، تقدم منه ، ومن دون تحية ولا سلام ولا كلام قال لمحمد قبلان : « تفضل قم وامش معي » ، وبلهجة الآمر وعينه عابرة ، ولكن محمد قبلان ، وقد ايقن بحرج الموقف : زحلاوي لا يعرفه يتعرض له في زحلة بعد (الستين) بأقل من سنة . ويقول له قم وامش معي ، ثم يصيح الزحلاوي على شاب زحلاوي آخر من بلده ويقول له : « فك هذا البغل والحقنا » ، قرر في نفسه ان يتبع هذا الزحلاوي ، ثم يرى العاقبة منه ، فان كانت شرا دافع عن نفسه خير دفاع يليق باسمه ــ هذه خلة الشجاع ، ولم يشأ محمد قبلان ان يرفض الاستجابة الى « تفضل قم وامش معي » لان الرفض هذا يصمه بالجبن والخوف ، وما هو بالجبان الذي يخاف ، فمشى الزحلاوي ومحمد قبلان معا دون كلام البتة في شوارع زحلة ووراءهما الشاب يقتاد البغل، وهكذا حتى وصلا الى بيت فيه حوش ، فقال الزحلاوي لشاب : « علق للبغل يا فلان » . ثم قال لمحمد قبلان : « تفضل » ــ اي الى داخل البيت .

وهنا صار محمد قبلان يحسب اكثر من وجه لهذه المباغتة الملثمة . فدخلا وجلسا ، على غير كلام من مضيف ترحيبا بضيفه ، ولا شيء من (اهلا وسهلا) التي هي

راس المناقب اللبنانية الاصيلة . وكانت نية محمد قبلان ان يتابع هذا (الديكتاتور) الزحلاوي ، الذي نبت (وتفرعن) عليه عند السروجي برمشة عين ، الى آخر الشوط ، فان لمح ، بالتالي ، انه مجرور الى الهلكة دافع عن نفسه دفاع حامل بيرق (سنة الستين) ، اي قبل هذه الواقعة بأقل من سنة ، وفي زحلة. والذي رابه وبذر الشكوك في نفسه ان السروجي ، لما برز هذا الزحلاوي لمحمد قبلان ، قدام دكانه لم يعترض على ابن بلده بشيء، هذا من ناحية ، ومن اخرى لمح محمد قبلان ان تصرف الزحلاوي معه لم يكن خشنا قط ولا موحشا ولا فظا ، ولكنه تصرف تصرف آمر آسر . فجمع محمد قبلان كل جاشه ، داخل نفسه ، وتهيأ لاي نوع من المباغتات في بيت الزحلاوي الذي لا يعرفه ولا سمع به من قبل ولم يسبق ان عرف له وجها .

ولكن هناك مسألة صغيرة جدا انتبه لها محمد قبلان وهي ان الزحلاوي ، قبل ان يقول له « تفضل قم وامش معي » كان قد اقترب منه وتفرس في وجهه ، وبعد هذا التفرس عن كثب قال الزحلاوي له : « تفضل ... »

وبعد قليل ، وربما كان هذا القليل حول ساعة زمان ، قام الزحلاوي وخرج من الغرفة ثم عاد بطبق كبير عليه طعام مطبوخ وغير مطبوخ ، فوضعه على الارض امام محمد قبلان ، وجلس الزحلاوي حول الطبق المليء ، وزحزحه قليلا نحو الضيف ، ثم بادره بقوله : « تفضل نأكل معا » وكانت هذه العبارة (امرا) لا قبل لمحمد قبلان برده او رفضه ، اذ انه لو ابى او تردد لدخل في مباغتة مجهولة ، ولكنه قال لمضيفه الزحلاوي : « كثر الله خيرك . اني آكل معك ولكن بشرط ، وهو ان نتبادل الصحون ، فانت تأكل الذي في صحني ، وانا آكل الذي في صحنك . فقال المضيف : « الحق معك .. انك خائف من السم .. » وتبادلا الصحنين . وبدأ الزحلاوي يجيل لقمة الخبز في انحاء الصحن كله ليبرهن ، بهذه الطريقة على ان الصحن خلو من السم . فلحظ محمد قبلان هذا، ومضيا بالاكل حتى انتهيا . ثم رفع الطبق و (شقعة الخبز) . وجيء بالقهوة ، وهنا ، بعد ان قدم الزحلاوي

(الصينية) وعليها الفنجانان ، ووجه ناحية منها ليتناول الضيف فنجانه ، قال له محمد قبلان ، ولا يزال حاسبا الف حساب : « انا آخذ فنجانك الذي لصوبك ، وانت تأخذ فنجاني الذي لصوبي » فلم يبتسم الزحلاوي ، ولم يتردد ، ففعل كذلك . ثم انتهت (الوليمة المجهولة) من (ديكتاتور) مجهول . والبغل كيف على عليقه . والآن جلس الرجلان ، وجعل الزحلاوي مجسا قريبا من الضيف .

واخذ الجو يتغير الى الانفراج ، ولكن ، الى هذا الوقت ، لم ينطق الزحلاوي بحديث ما ، او عبارة ، او كلمة ، ولكنه لم يكن منقبض الوجه ، ولا علاماته علامات تسر ، ولا ولا ... والآن قال لمحمد قبلان بهدوء وتؤدة وايناس ولطف ، وتقارب الوجهان: «اعرفتني؟ اعرفتني؟» فقال محمد قبلان : « كلا ، ما عرفتك ، وما اعرفك ، وبحياتي ما رأيت هذا الوجه » . فأجابه : « وكد في وجهي جيدا كما كنت توكد في وجهي بالامس ، فانا ما غابت صورة وجهك عن بالي لحظة ، فكيف تنساني انت ؟ » اجاب محمد قبلان : « يا اخي ، كيف لي ان انساك وفي حياتي ما رأيتك ، وانا لا انسى اصدقائي مهما طال الفراق بيني وبينهم . انا مستغرب هذا الامر : تأسرني وتاسر بغلي ، وتأتي بي الى بيتك وانا حاسب الحساب ، وتغديني وتعلق لبغلي ، والآن تطلب مني ان اعرفك » !

كان محمد قبلان ، في هذه اللحظة ، قد ايقن انه في مأمن من الغدر ، وانه بين يدي زحلاوي طيب آدمي كريم ، ولا بد لهذا الزحلاوي ان يكون لقصته أساس . ولكن محمد قبلان ، مع تبدد خوفه الداخلي ، بقي يعارك ذاكرته ويطلع وينزل ، فما عثر في زوايا ذاكرته على شيء .

واذا بالزحلاوي ينقلب الى وداعة الحمامة والحمل والفراشة ، وتغمر الروح الانسانية وجهه ، والبشاشات الراقصة اخذت تتدفق تدفق (البردوني) ، ولم يعد له على الصبر طاقة ، فصاح : « يا ابو علي ، يا ابو علي، أنسيت ملتقانا في شر (حمى كفرسلوان) ؟ انت حامل بيرق راس المتن ، وانا حامل بيرق زحلة ... انسيت لما تقابل (جماعتنا) و (جماعتكم) والرصاص يعن ، وليس بيني وبينك الا مقدار سبعين ذراعا ورجمة حجارة هنا ورجمة حجارة هناك ؟ انسيت لما صار الرجال يصفرن البواريد على الحجارة ويلبدون ويقوسون ؟ فانا يا ابو علي كنت اراقبك الوقت كله مراقبة مستمرة . وانت وانا اخيرا ، شككنا البيارق بين الحجارة . والحمد لله على انه جمعنا في زحلة . يا ابو علي ، يا خيي ، انت في ضيافتي ثلاثة ايام » .

فدهش محمد قبلان اي دهش ، وقال له : اني

فلاهش محمد قبلان اي دهش ، وقال له : اني كنت انظر الى حامل بيرق زحلة ، زميلي في الجهة الاخرى، ولكني ما استطعت ان احفظ صورة وجهه . ولو عرفت لما كان ما هو اسر من ذلك » . وشكره على (المباغتة) الزحلاوية الحلوة المخيفة ، وعلى الضيافة واعتذر عن خوفه من السم .

ثم تعانقا وتضاما ، وقبل كل منهما اخاه قبلا حارة ولم يشبعا ، واخذا في سرد القصص والحكايات كان

جدار السنين

صبوت برغم الجلال الحزين
وخطوك متئدا خاشعا
تخفى الزمان وغم المكان
وعدت الى ربع قرن مضى
الى شرفة كصروح الخيال
وليل سهرناه في انسها
نخف على درج الامنيات
زرعنا ربى غدها بالوعود
دهانا والقى لريح الضياع
وغاضت منى كن معنى الحياة
فيا وترا مزقته الغيوب
ويا زهرة كورود الجنان
ابينك عهد وبين السنين
ام الشوق صاغتك فرشاته
تنبهت اقطع هذا الشريط
وغصت من الخزي في هوة
اني ساحة ظللتها السماء
احن الى جزر نائيات
واغضيت اعنو لسخر الزمان
يقولون يرحمه ربه

وثوب الحداد الذي ترتدين
بباب الكنيسة اذ تدخلين
علي ... واهوى جدار السنين
اشق اليه ضباب الشجون
عليها ستار من الياسمين
ونام الزمان ... مع النائمين
الى ذروة .. كمراح الظنون
ونمنا فهب الزمان الخئون
بقايا نجت من رحاه الطحون
وقد اقسم الدهر الا تكون
حنانيك .. كيف استعت الرنين
يطول بها العمر فوق الغصون
تمر عليك فلا تذبلين
بلون الحنان وظل الحنين
وارجع للكهف ، سري المصون
تلاحقني راصدات العيون
وذكرى فقيدك في الاربعين
وقد عصفت ريحنا بالسفين
واصغي لترتيلة المنشدين
فقلت .. ويرحمنا .. اجمعين

الاسكندرية

ادوار حنا سعد

(سنة الستين) كانت في القطب الشمالي لا في لبنان . وبقيت الصداقة بينهما الى ان توفى ابن زحلة اولا ، ثم لحقه محمد قبلان سنة ١٩١٣ كما ذكرت . ولكن الذي روى لي هذه القصة ، وهو ابو سليمان داود بن محمد قبلان نسي اسم حامل بيرق زحلة ، واني ابذل جهدي لاسال عنه اصدقائي في زحلة فلا بد أن يكون اسمه معروفا تتناقله الروايات اللبنانية جيلا بعد جيل . رحم الله حاملي البيرقين .

ان الشهيد في ارض فلسطين منذ اربع سنين (راجح يوسف حسن محمد قبلان غرس الدين) هو ابن حفيد محمد قبلان . وقد اقيم له في (راس المتن) مأتم لبناني حضرته حشود عظيمة . يظل البطل يلد البطل . صديقنا الشيخ ابو خليل يوسف ، والد الشهيد راجح ، له الفخر بجده وولده » .

بيروت — ص.ب ٦١١

وليم نجيب صعب

— النقاد في الصحف لا حديث لهم الا عن مسرحية (الشيء الذي يلمع)

— هم دائما يركضون خلف الاعمال الناجحة .

— ولكنني اعلم يا عباس انك تمثل في هذه المسرحية .

هتف عباس في غيظ :

— يقولون ذلك ..

— من الذين يقولون ؟ انهم يا صديقي لا يتناولون اسمك بكلمة واحدة .

غمغم عباس في اسى :

— ربما السبب في ذلك، ان دوري في هذه المسرحية ليس اكثر من احتياطي لفايز وجدي بطل المسرحية البديل لحضرته .. والان ارجو ان تسمح لي بالانصراف .

— الى اين يا عباس ؟

— حان الان موعد ذهابي للمسرح لاجلس في (الكواليس) بلا عمل ..

سار عباس عزمي في تجهم نحو باب الخروج دون ان يلقي على صديقه تحية الوداع . مضى في الطريق متجنبا النظر لصور (فايز وجدي) التي تتصدر (الافيشات) المزدانة بالالوان على جانبي الشارع .

توقف عند محطة (الاتوبيس) . نظر الى ساعته في ملل ، احد المارة يقترب منه ويسأله عن احد الشوارع يصف له ببلادة الطريق اليه ، المار يشكره ويواصل السير دون ان تبدو على ملامحه انه قد فهم شيئا . يأتي (الاتوبيس) مزدحما ، لم يجد عباس داعيا للاختناق داخله ، فما زال يتبقى اكثر من ساعتين على رفع الستار ابتسم في سخرية وهو يكاد يبكي :

— لعنة الله على هذا الستار الذي اختفي خلفه كل ليلة دون ان يكون لي عمل الا مشاهدة ظلال فايزوجدي وهو ينحني في كبرياء للذين يصفقون له . ثم يمر بجانبي دون ادنى التفات وقد اكتسى وجهه بالزهو .

سار عباس في تثاقل . وعلى طول الطريق تتعلق انظاره بصورة ضخمة لفايز وجدي ، بطول وعرض الافق وهو يبتسم له في سخرية وتهكم ؛ استدار فجأة وقد بدا أمام عينيه في خيط واحد شريط لاحداث خمسة اعوام لم يمرض خلالها هذا البطل يوما واحدا ، كل ليلة يعلو نجمه ، كل ليلة يغطي بسطوعه على كل الممثلين ، وعلى الواقفين خلف (الكواليس) ومنهم عباس عزمي .

.. ارتبكت خطوات عباس حين احس بنفسه كالضال .

— بلا شك انت تحفظ كل دور في المسرحية يا عباس .

قهقه فايز وجدي وهتف ساخرا :

— بالطبع يا استاذ فتحي ، فليس لعباس اي عمل في هذه المسرحية



بقلم محمد السيد سالم

●

حفظ الادوار .

تجاهل المخرج هذه الدعابة . وحدج في وجه عباس قائلا :

— اعتقد يا استاذ انك لا تمانع في القيام بدور (حمص) لغيابه .

استشاط عباس غضبا ، وتحول في لحظة الى قطعة لحم تحترق :

— استاذ فتحي ، ماذا تظنني ؟

— اظنك ممثلا تؤدي كل الادوار ولهذا يمكنني ان اضعك بديلا لبطل المسرحية .

— وهل يمكن بعد خمس سنوات عشتها خلف (الكواليس) ملقياً كالصندوق الخشبي الفارغ ان امثل دور (حمص) الذي لا يتعدى سطرا واحدا . لا يا استاذ فتحي .. والف لا .

امتعض وجه فايز وجدي ، تبخرت من بين قسماته ابتسامته المتهكمة وقال :

— عموما يا استاذ فتحي لا تشغل بالك ، دور حمص غير مهم بالمرة ، ويمكن شطبه .

نظر المخرج الى عباس في اسى ، واسرع يغادر المكان ، وارتمى على اقرب مقعد ، وقد راحت انامله تبحث في عصبية عن علبة (السجائر)

— مالك تبدو عصبيا الليلة يا عباس ؟

— لا شيء يا فايز .. لا شيء .

— يا عباس .. ان الفنان الحقيقي الذي لا يجد فرصته ، لا بد له ان يخلقها .. انظر مثلا الي .. فقد كنت ..

وبدا فايز وجدي يحكي تاريخه الحافل في دنيا الفن ، وحكايته مع النجاح ، وعباس لا يسمع ، فقط يرى شفتيه تفتحان وتغلقان، وعينيه تكادان تخنقانه وتحاصرانه ..

وفي تلك الليلة استقر في راس عباس ان (فايز وجدي) سيظل دائما بالنسبة اليه صخرة هائلة تقف على صدره ، وتحجب الضوء عن وجهه ، وان الخلاص منه هو خلاص من الظلام ، وزحام (الاتوبيس) ، والدفن حيا في هذا البيت الغارق عند نهاية ذلك الزقاق البعيد .

.. وحين ارتفع الستار وبدا التصفيق يدوي ، تحركت امامعباس عزمي كالعادة ظلال فايز وجدي وهو يرفع يديه ويلوح بهما للناس فيكبرياء ثقيل وزهو .

وبدا شيء داخل راسه يتلوى في ضراوة ، ويرسم في ظلام المكان ملامح خطة انتقامية كاملة تقفز الى

خواطره بكل معالمها في لحظة ..

وداعبه حلم زاه يتجه بلا تردد الى شارع هادىء تقبع عند نهايته فيللا (فايز وجدي) .. وهناك وجد نفسه يحوم حول (الفيللا) بحرص اللصوص، ويراقب في اهتمام يشوبه القلق كل ما يحيط الستائر الحريرية المسدلة. وهو يحس بعروقه تنتفض وبغيظه يتحفز .. وهناك خلف احدى الاشجار الضخمة المواجهة (للفيللا) توقفت خطواته وهو يشعر بشيء كالطوفان الاسود يجتاحه ، ويتجمع في صخب داخل راسه .

واخيرا وبعد انتظار مرير خرج (فايز وجدي) من ابواب (الفيللا) بعربته الزاهية الفارهة ، وفي لحظة خاطفة احس (عباس عزمي) كأن قوة شيطانية قد القت به وسط الطريق امام العربة .. ولم يشعر الا وهو يجلس بجانب (فايز وجدي) داخل السيارة بينما يده تتحسس بقلق مسدسا يكمن داخل جيبه .

وعند هذا الحد اهتز راسه بعنف واختلطت مشاعره ، واحس بجسده ينصهر قطرات من العرق اللزج . الحارق . وكان عليه ان ينتهي من خطته قبل أن تفارق السيارة الشارع الهادىء وتدلف نحو الميدان الصاخب المزدحم ... لم يمض وقت طويل حتى كان (فايز وجدي) بكل اناقته وكبريائه قتيلاً مسجى على عجلة القيادة ، جاحظ العينين ، مضرجا بدمائه .

وحين وصلت الامور الى هذا الحد .. ارتخت عضلات (عباس) وزال كل اثر للتوتر في عروقه .. وشعر بشيء من الارتياح الناعم يسري كالنوم داخل راسه .. فتطلع للظلام حوله ، وعلى وجهه تتراقص ابتسامة عريضة مليئة بالزهو ولكنها انزوت حين سمع دقا عنيفا على بابه ارتعد عباس وقد احس بقلبه يكاد يتوقف .. ولكن حين فتح الباب ودلف (برهومه) العامل بالمسرح الى الداخل ، في عصبية وقلق وقد شحب وجهه ، وتصبب العرق من جبهته عادت ابتسامته من جديد هادئة واثقة .

ــ استاذ عباس ، اليوم حدثت كارثة كبرى .

ــ ماذا حدث ؟

ــ قتل فايز وجدي داخل سيارته . وهو في طريقه الى المسرح .

ــ ماذا تقول ؟

ــ ليس مهما الان ماذا حدث . الاهم من كل شيء الان ان المخرج يستنجد بك ويطلب حضورك فورا للمسرح ، وليس متأخرا كعادتك كل ليلة .

ــ المخرج يستنجد بي .. بي انا؟

ــ نعم يا استاذ عباس ، لان المسرح كما تعرف محجوز ككل ليلة لاخر مقعد فيه .

ــ واذا لا يلغي العرض هذه الليلة ؟

ــ المخرج يرفض ذلك . المهم ان تسرع يا استاذ عباس ، فلم يعد هناك وقت نضيعه في الكلام .

لمع عباس عزمي في دور البطولة هذه الليلة ، وهو يرى لاول مرة الاضواء مسلطة عليه . اندمج في دوره ونسي كل شيء والفى العيون قبالته تنظر اليه نظرات اعجاب وتجعله في هذه الليلة شيئا يبرق كالنجوم .. وفي لحظة خيل اليه ان جبلا من اليأس قد انزل عن صدره، وكشف وجهه ، وان جدارا قد تحطم للابد ، شعر ان الانظار حوله وهي تتبعه في كل همسة وحركة قد اتاحت له اخيرا فرصة العمر التي ظل ينتظرها زمنا وراء الكواليس .

وعند نهاية المسرحية ، وحين التهب كل المكان حوله بالتصفيق والهتاف ، انحنى في رشاقة وهو يكاد يلثم بدموعه ذلك المجد الساحق وفجأة ، افاق من حلمه الجميل وغرق المكان من جديد في قاع صمت ثقيل فالتفت عباس عزمي الى نفسه في ذهول يختلط بالذعر .

وعلى الظلال التي بدت امامه بوضوح شاهد (فايز وجدي) وهو ينحني في زهو لجمهور تكاد اكفه تلتهب اعجابا وتقديرا لفنه .

القاهرة **محمد السيد سالم**

بوح إلى صديقتي

صديقتي
الف مرة تمنيت ان اكون نسرا
احملك تحت جناحي ،
واجوب السماء كبرا
فتطوقين عنقي ساعة الرحلة
وحين يرتاح راسك المتعب على صدري
احس انفاسك الحرى تدع قوتي
فاطير واعلو صوب القمة السماء
ابني لك عزالا كبيرا كقلبي
أنيقا وطريا كحبي
آه يا صديقتي
لو كنت بحرا عميقا فيه تسبحين
تصلصلين القاع كل يوم
عن لؤلؤة ثمينة
أضاعتها سنة الحصار « شهرزاد »
فتبحثين ثم تبحثين
عن مشكاة امل في طقس الرياء
عن مركب صغير
يحملك الى الشاطىء الامين
الشوق في عينيك صرخة احتجاج
يطرز الفصول بالاغاني
فـلا تخـافي
العمر مهرجـــان
ولفـوك الصيفي
زقزقة عصافير على الدالية
يعيدني طفلا غريرا
فحدثيني بلا انقطاع
عن برية بلا تخوم أو احزان
ضميني الى صدرك المستيقظ فيّ دمي
فانا شمعة احترق في هذا الديجور
وحين تصرخين يا صديقتي
ادفع كل ما املك اليك
وارسل النوارس والمراكب الشراعية
وبطاقة حب مزركشة بمداد قلبي القاني
فيـا صـــديقتي
لن يمزق الغزال بيرق اللقاء
ولن تكون الضحية المستكنة
فانـــا وانـــت
عاشقان رحلة الحياة .. عابران
فلا تخافي من تعاور الايام
ورددي الموال كل آن
العمر مهرجـــان
ونحن .. نحن العاشقان

*

عبد الكريم دندي

*

دمشـــق

بعيداً عن الفلسفة

بقلم سالم علوان الجلبي

* * *

حدثني جليسي ، دون استئذان ، فقال :

انا مجنون دون شك ، ومع ذلك فانا ارفع من ان اكون عاقلا . وحتى لو كانت الخيرة لي بين هذا وذاك ، لاخترت الاول دون ادنى تردد .

انا مجنون ، والجنون فنون ، كما يقولون ... ولا اعرف بالضبط اي عاقل سما به عقله فقال هذه الحكمة :

الجنون فنون .. هذا حق . اما العقل فلا يمكن ، مهما سما ، ان يبدع اكثر من فن واحد في مجال واحد ، اذا ساعده الشيطان في ذلك ، وعندئذ ايضا ، يكون هذا العاقل الفنان مجنونا .. فلا يمكن للفنان ان يصل الى قمة الفن دون ان يخرج من عقله الآدمي البيئي . فاذا ما خرج من عقله ذاك صار فنانا مبدعا .. وصار مجنونا .

ولا يتطلب الامر ، كما ترى ، ان يكون المرء مجنونا طوال حياته ، فان لحظة واحدة من لحظات الوحي ، او فترة قصيرة من فترات التجلي لهي كافية لذلك كل الكفاية . وهل كان ارخميدس ذلك العالم النافع الا مجنونا حين قفز من الحمام واخذ يركض عاريا في شوارع سيراكوز وهو يصيح : وجدتها ، وجدتها !!

اما ان يكون المرء مجنونا طوال حياته ، فامر لم يوفق اليه الا العباقرة الافذاذ ، وفي ذلك الانعتاق المطلق ، لان العقل ، كما يقول ولسون : يقود الى طريق مسدود .

اما ابن القس البروتستانتي ذلك الرسام الهولندي « فنسنت فان كوح » فقد انتهت به الحال في معظم فترات عاميه الاخيرين من حياته الى الجنون المطبق .

وهل كان الا مجنونا راقص الباليه الروسي « فازلاف نجنسكي » حين طلب اليه ان يرقص امام جمع غفير من الناس ، فوقف محملقا فيهم مدة نصف ساعة واخيرا قال لهم : سأرقص لكم رقصة الحرب ، بموتها وشقائها ، الحرب التي لم تفعلوا شيئا لمنعها ، والتي انتم المسؤولون عنها ... هل كان الا مجنونا هذا الراقص الفنان حين كان يصيح : انا الله .. انا الله .. انا الله !!

وهل كان الا مجنونا حين جلس وسط شارع المدينة حاملا الصليب خارج ردائه ، وهو يسأل المارة عما اذا كانوا قد ذهبوا الى الكنيسة في حياتهم ؟

تماما كما كان يفعل ذلك المجنون الالماني الاكبر « نيتشه » الذي كان يضع على راحته كومة من عيدان الثقاب المشتعلة ليثبت للمتنافسين ان ذلك شيء يمكن ان يفعله الانسان ... وتماما كما فعل فان كوخ حين امسك نار الشمعة المشتعلة بانتظار رؤية حبيبته .

انا مجنون ، ولكن جنوني من النوع الهادىء ، لما ينعتونه ، فهم شديدو الولع بالنعوت وهم يعنون بالهدوء، انني لا اؤذي احدا ... ولشد ما اتمنى ان يكون جنوني من النوع الثائر الخطر ، لاتمكن عندئذ من قتل الكثيرين تماما كما فعل « راسكولينكوف » حين قتل « الينا ايفانوفنا » المرابية العجوز ... فان بي رغبة جامحة لان اقتل ، مثلا ، تلك الدودة الحقيرة ، ذاك الذي يسمونه « صادقا » ولو الحق ابتغوا لاسموه « منافقا » فانه هو الاسم الوحيد المناسب له ... غير انهم ذئاب وضيعة لا يمكن ان يسموا انفسهم باسمائها الحقيقية .

فأية جريمة في ان اقتل حشرة شريرة سامة ؟ وهب انها جريمة ، فلست المسؤول الاول عنها .

يلوح لي احيانا انني شخصان ، كثيرا ما يحتدم النقاش بينهما فيذهبان فيه كل مذهب . مثال ذلك ...

قال احدهما ذات يوم : ان الاديان توجب على الناس ان يكونوا طيبين . فقهقه الآخر ساخرا : الطيبة !... ترى ما هي ؟!

فأجابه الاول بحدة ، وهذا دائما يأخذ الامور بغاية الجد : الطيبة ، هي في رضا الناس عنك ، فألسنة الخلق اقلام الحق .

فازداد الآخر سخرية في تساؤله الملغم : رضاء الناس !.. ترى ما هو ايضا ؟ انهم انفسهم يقولون : رضاء الناس غاية لا تدرك . فلم تتعب نفسك وراء غاية لا تدرك ؟ وعندي ان خير الناس من ارضى بالحق نفسه .

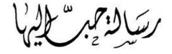
اما السنة الخلق اقلام الحق ، فقول هراء . اترى ان آراء الناس في الاخرين لها قيم حقيقية ؟! وهم الذين قالوا :

صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا

واما الاديان ! فصاح الاول وهو يرفع يده غاضبا هنا يجب ان تسكت والا .

قال الآخر ، وكأن الامر لا يعنيه : وحتى الاديان.. ترى ما هي ؟!

خاف الناس ذات يوم فعبدوا الاصنام ، وطمعوا فأحرقوا لها البخور ، اما الاديان السماوية ، فاين هي في صفائها ونقائها بين هذا الركام من الطفيليات الارضية



رسالة حب اليها

رسالة حبي ، وهي اغلى روائعي ... بها تكتب الشوق العميق مدامعي
ابثك فيها بعض وجدي ، واشتكي ... لواعج حب فيّ الحشاشـة لاذعي
واسكب فيهـا من عصارة مهجتي ... احاسيس شوقـ من فؤادي ـ نابع
وارسم فيهـا صورة لصبابتي ... تخط بها الاخلاص ريشـة بـارع
فاما رايـت العنف بين سطورهـا ... فقد هاجت الاشواق بعض زوابعي
واما رايـت النـار في كلماتهـا ... فتلك من النـار التي في أضالعي
واما رايت الصدق فورق حروفها ... فاني لم اعرف سـلوك المخـادع
وعينيك والسحر الذي فاض منهما ... كقبسة نور في دجى الليل ساطـع
انا ذلك الصب الذي تعهدينـه ... فلا البعد ينسيني ولا الهجر رادعي
اغنيـك الحـان الغرام مفـردا ... كطير ـ على الاغصان ـ بالحب ساجع
مقاطـع شعر طافـح بمشاعري ... بها من بقايا القلب بعض المقاطـع
خيالك مثل الظل ، انى توجهـت ... خطاي اراه حيثـما سرت تابعي
يلاحقـني في غـدوتي وعشيتي ... وفي وحشة الليل البهيم مضاجعي
ويجذبني عـات من الشوق عارم ... وان كنت في منأى ـ برغمي ـ شاسع
تؤرقني الذكرى فاسكب دمعة ... معبـرة كفكفتهـا باصـابعي
وحسبي تعبيرا عن الشوق والهوى ... اذا انا لم انطق بغير المدامع

بغداد ص ب ٢٢٠٣٨ — محمد جواد الغبان

التي غلفها البعض بها ؟!

وحين وصل الامر الى هذا الحد .. شربت ماء ، وكنت مجنونا ! فلو ان عاقلا دخل بين هذين المتخاصمين لجعلهما يقتتلان .

جلست ذات يوم على الشاطىء ومددت قدمي في الماء واذا بي ، غيري منذ لحظة ... وعندها بدات اطير .. وطرت فعلا الى السماء . ثم نظرت الى الارض فاذا هي السماء .

كنت ، حين كنت عاقلا ، اقرا تلك الاوراق التافهة التي يثري منها البعض بتضليل الاخرين وخداعهم ... اما اليوم ، فأنا اقرا الماء والهواء ، اقرا الشمس والقمر، اقرا الظلمة والنور ، اقرا الحيوان والنبات .. اقـرا كل شيء .

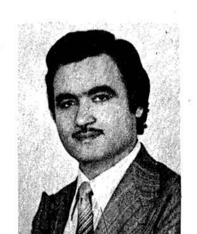
ومن قراءتي هذه ، انني شاهدت ذات يوم كلبـا كان يسير في الشارع هادئا مطمئنا دون ان يؤذي احـدا وربما كان يظن ، ان لن يؤذيه احد . فاذا بحجارة تقصم له ظهره في تصويب محكم . لا لشيء الا لهذه الرغبـة الطائشة في الضارب ... وكان شابا اخذ يقهقه عاليا على الشرفة القريبة منا . اما الكلب فنبح بألم ، ثم نظر الى مصدر الصوت .. وعندها اخذ طريقه وواصل سـيره .. كأن شيئا لم يحدث .

ثم واصلت سيري الى النهر ، وبي حنين دائم اليه، وجلست ، كالعادة ، على شاطئه ، واذا بزورق بخـاري يشق وجهه منحدرا الى الجنوب جارا خلفه خيطا مـن الموج ، يبدا في كل مرة ضعيفا واهنا ، ثم لا يلبث ان يعنف ويشتد لاطما الشاطىء بكل قوته ... وشيئـا فشيئا يأخذ بالهدوء حتى يتلاشى .. تماما كالانسـان بداية ونهاية .. ضعيفا واهنا ، ثم يشتد ويعنف .. واخيرا يتلاشى ! وصدق من قال :

لا تبك ميتـا ولا تفرح بمولود ... فالميـت للدود ، والمولود للدود

ثم تركني محدثي وانصرف .

البصرة ـ العراق — **سالم علوان الجلبي**



فـوزي عطوي

كتبتُ اليكِ

بقلم فوزي عطـوي

* * *

هل سمعت بالاسطورة ؟

وقيل في الاسطورة : ان عاشقا لم توافـه حلوته ، ولم تسمعه عبر الاثير ، تموجات صوتها الحريري ، فأحب ان يوافيها الى حيث هي ، في مدارج الصنوبر الاخضر ، فلما ان « جاء دارها ، وجد المفتاح في زنارها » ! فآب خائبا ، من حيث اتى ، حاملا بين اهدابه ملامح من الربوغ التي تضم اليها حسناء حبه الميمون ، وفي قلبـه غصـة المحزون .

وقيل في الاسطورة :

ان العاشق أنحدر من اعالي الجبال الى الساحـل الافيح ، لعله يلقى على مقربة من الشاطىء الوسنان ما لم يلق في الجبل ، فلم يعثر على غير الخيبة التي توجع القلب ، وتزرع في الخاطر مرارة الحرمان !

واختتمت الاسطورة بهذه الكلمات :

ان اللقاء بين الحبيبين يضرم لهب الهوى ، ويسكب الذات في الذات ، عبر الوصال اللذيذ العبقري . لكـن الحرمان ، ان تقطعت فتراته ، زاد اوار الحب ، واشعل الشوق في دماء الحبيبين ، فكان اللقاء ، بعد الحرمان ، ارق وارقى !

هل سمعت بالاسطورة يا حبيبتي !

لا تحرقي اعصابك

الآن ، ذكرت ان رجلا تحترق اعصابــه ، وهو يكابر ، مرتقبا ان يجيئه صوتك الدافىء الحبيب !

وتكابرين انت !

ترفضين مثله ان تبوحي له بما تنبض به كل قطرة من دماء عروقك ، وثقي انه لا يحبك الا وانت مكابرة !

اساء اليك ، تقولين ؟!

الى قلبه يسيء ، ان خطر له يوما ان يطالعـك بالاساءة ، لكنه يعرف اي عتاب هذا العتاب ، عتــاب المحب على المحب !

وحذار ان يمتزج عندك العتب بالغضب !

ان المحب قوي . والقوي يغفر ولا يحقــد . الضعفاء وحدهم هم الحاقدون .

ولسوف تشرق شمس الطهـارة في ضميـرك ، وتلتفتين من حولك الى هوى عاطر دافىء ، فيغمرك دفء عينيه ، وتضمك رقة شفتيه ، ويحتضنك صوته بالهمس الحميم !

فلا تحرقي اعصابك . لا تحرقي اعصابه ، بعـد اليوم .

واحتضنيه انت ، ابدأ ، بصوتك الدافىء النشوان!

خلعت عليك أل المعرفة

« برطعي » ما شئت ، واسرحي وامرحي ، مزهوة بـان شاعرا خصك بالتفاتة ، وانه القى على مسامعك بعضـا من غنائه !

وتألهي ، ان شئت ان تتألهي ! فغدا ، حين تعودين الى صوابك ، وتفيئين الى حقيقتك ، تعرفين ان الريشة التي صنعت منك مثالا ، تستطيع لو شاءت ان تتنكـر لابداعها ، وان تحولك الى صنم !

وتستطيع ، لو شاءت ، ان تحطم الصنم !

ولا يغرنك حلم تطالعينه في اخلاق شاعر !

فمتى كا ن الحلم عجزا ؟ متى كان الغفران للطيش اذعانا ورميا للسلاح ؟

وستعلمين ، آ جلا او عاجلا ، ان تاريخك لم يعرف شعاعا الا يوم نقلك من عالم العتمة الى عالم الضوء .

ويوم خلع على اسمك المجهول « ال » المعرفة !

وستعودين ، عاجلا او آجلا !

ستعودين رامية سلاحك على يديه !

لكن اخشى ما يخشاه أن تعودي ، وقد عضك الندم وقد فات الاوان !

ولات ساعة مندم !

على رصيف العتمة

عبر العتمة ، والضوء الهزيل الشاحب يتلصص على

الدروب ، من بعيد ، وبعض الهاربــين كما تهربان ، يقطعون انفاس السكون بالقبل ، ويضمون برفق وتؤدة من الخصور والصدور والثغور ما يضمون ، كانت لكما لقيا ، تقطعون الدرب فيها ذهابا وايابا .

حتى اذا هاج الهوى فيكما نجاوى الروح ، وشغف التراب باغتراف اللذائذ ، توقفتما على رصيف العتمة ، كما تتوقف الهنيهة الحالمة على رصيف العمر الشهي ، وكان منكما اصدار وايراد ، وكان عطاء يلملم عطـــاء ، فتعبق في الاجساد نيران هي أصداء ما يعبق في الارواح من نشوة لطيفة ، ويضطرب همس ممتزج بالتأوه والتوله وتثور البراكين ، فاذا الحمم تستحيل بردا يطفىء أوار التراب ، بعد ان يتعرى من ورقه ، ويقف متحديا جدران الحرير الذي يمد الثورة اللاهبة بثورة حريرية لاهبة !

وترجعان من العتمة !

تتسللان ، كما اللصوص ، الى رحـــاب الضوء ، تضحكان ، وتبسمان لما يريده الناس ، وكان حريـا بكما ان تبكيا للناس ، في استمساكهم بالقشور فبوركت حرية تغتصبانها اغتصابا ، من بشر لا يعترفون الا بحرية تكون لهم وحدهم !

قولي لطيفك ينثني !

وطالت احاديث النهار والليل ، فآوى نجيك الى سريره ، يبث الوسادة الحالمة بعض شجون ليله ونهاره ، ويصلي من اجلك !

ولكن انى له ، وانت كمثله في معاناتك الموجعة ، ان يسامر النوم اجفانه ، وهو الذي لو مر بك النسيم ، لأحس في نفسه بمثل التمزق ولاذ بمذياعه الصغير المرتاح تحت الوسادة ، ابدا ، يحرك فيه النغم والصوت الحنون ، فكأن مذياعه النائم معه في سريره يشاركه ما هو فيه من وجد وشوق وارق ، فيحمل اليه صوتا شجيا مرنما :

قــولي لطيفــك ينثنـــي عـــن مخدعي وقـــت الرقـــاد
كي استريـــح ، وتنطفـــي نـــار تاجـــج في الفـــؤاد
مضنـــي تقلبــــه الاكـــف عـلـى فــراش من سهـــاد
امـــا انـــا ، فكمـــا علمـــت فهـل لوصلـــك من معـــاد

ويتيه الخاطر مع الانغام المتسربة الى القلب ، يتيه مع الطيف المقيم مع نجيك ، على أهنأ ما يكون التيـــه الموصول بهذا الود الفردوسي الحبيب الذي ينسي صاحبه ان روحه حقا ملتصقة بالتراب .

•• ومر عيدي

ومر عيدي ، فالتفت الربيع يسأل عن مهرجاني ، فمـــا وقعت عيناه على غير روحين متعانقتين عن قرب وعـــن بعد ، فابتسم واحبنا وحدنا نصنع الدنيا على هوانا !

وبحث الربيع ، يا اوفى حبيبة ، ويا احب وفية ، عن حلل العيد وهداياه ، وعن زينته وزخرفه ، فطالعته مني نفس طهور مبرأة من تفاهات الجسد ، وكانـت النفس مغمورة بحلة الهوى المنشود .

وطالعته منك اغلى هدية . هدية الكمة الحـلوة المنسكبة من روح ارق من الرقة ، ومن انامل تلاعـب السحر ، فتخدره بغير مدام . فكنت القصيدة المرصودة الاوزان ، وكنت النغم الهني في العمر الشجي ، وعرف الربيع ، يوم عيدي ، انني احب الطبع والطبيعة ، واكره الزينة والزخرف ، لاحيا عالمي ، لاحيا عالمك البهي !

ويا وديعة الامنيات !

كنت احسب التصوف الوجـــداني ، في محراب الحبيب ، ضربا من الخيال الشاعري ، لكنني ، وقـــد ذقت التصوف ، ووقفت الوجدان عليك ، عليك وحدك، اجيئك في مثل وداعة الحبيبة ، راميا سلاحي على يديك، معترفا لك ان الذي لم يكن راهبا ، عمره ، اصبح في يوم عيده ، راهبا في هيكلك !

•• تبارك الذي سكب !

واوقفنا عقارب الزمن ، ونحن معا في الجلسة الطويـلة الوجيزة ، حيث امتزجت ما بين الجدران الخاشعة ، انفاسنا وحدنا ، وكلانا يقول الكثير الكثير ، لكنه يكتم الاكثر الاكثر !

وللمرة الاولى ، احسان ما بيننا ليس سحابة صيف عابرة ، لكنه من السحب الشتائية الماطرة التي تتـوزع كؤوس الازهار الربيعية ، احس ان قلبينا تمازجا ، وان روحينا تعانقتا ، وان كلا منا وجد في الاخر شطر نفسه الاخر ، فلا فراغ بعد ولا هم ، ولا غموض ، بل صفـــاء في صفاء !

ولقد تكون اهداب الكبرياء فينا تكسرت على وقع قبلة مدماة !

وقد يكون التلهف المكتوم ما بيننا تفجر ما بـين ضمة مبرأة من الاذى ، واتكاءة خد مشبوب على عنـق منسكب من يدين تبارك الذي سكب !

لكن شيئا يكون ، ولا يكون شيء سواه ، ذلك هو اليقين بأن كلينا رمى على صدر حبيبه عصا ترحاله ، وقال في نفسه ، مؤمنا خاشعا :

ما اكثر ما بحثت عن الحبيبة ، وها انذا وجدت في هذا الجبين المعصوب بالشمس ، جبين ضالتي ، فوجدت ذاتي !

كذلك يختصر الزمان

واذ اعطيتني ما اعطيتني بسخاء ،
واخذت مني بمثل سخائك ،
شهد المطرح المؤتلق بالنجاوى ان ما بيننا حب لا يضام
كل رشفة ثغر انسابت بين شفتي ،
كل ارتماءة خصر تهادى على ساعدي ،
كل خصلة شعر حريرية خطرت على جبيني الوقاد، منـــك ،
وحتى ارتعاشاتنا الحالمة معا ،
وتأوهاتنا المشبوبة معا ،

قوة الزمن

سيدتي ، قالوا لنا : ان الحياة مسخرة
وانها مفازة الى الردى ، وقنطره
وان من يعرفها يبصر فيها قدره
وعمر وماله والساعة المنتظره
فلنسترح من العنا في ظل هذي الشجره
كلمنا حواء في جلستها المبتكره
فاستضحكت ورتبت على يدي مزمجره
قد كان آدم فتى ليس عجوز المقبره
وانت اذ تريدني فانما مبعثره
فلبت منها خجلا وعدت روحا ضجره
الله لي ، شيخوختي بحزنها موقره
اجرها ، تجرني في ليلة معتكره
واذ يجيء صبحها تعرف اصل المسخره

بغداد

عبد المجيد لطفي

هذه كلها كرستك لي ، كرستني لك ، جسداً وروحا
جسدا لا يهمه بأي عبير يضوع ، ولكن يهمه ان يضوع منه عبيرك انت ،
وروحا لا يهمها في اي دنيا تطوف ، ولكن يهمها الا تطوف في غير عالمك !
كذلك يختصر الزمان ،
وتصغر المسافات ، .
وتضؤل العادات العتيقة !
كذلك يرنم الاحبة اغنية لاغلى الاحبة ،
يرنم وليداً الربيع احلى هدايا الربيع للصيف المشبوب من اوار العاطفة !
ونمضي في دروبنا الزهراء ،
يلتهب بنا الشوق في القرب والبعد ،
ونحيا كما نريد .. نفعل ما نريد !

اثرت جراح الكبرياء

ان عذرت انفعالي شكرتك ، وان لمتني عذرت ملامك المحموم !

لكن لي رغبة لا تبخلي بانجازها ، رغم كل انفعال !
رجوتك ، صدقي ان ما سمعته من صديقنا ، هزني من الاعماق ، هز بي انعطاف الصديق الى الصديق ، فآذاني كثيرا انني ، من حيث لم اذنب ، اثرت في رجل جراح الكبرياء !

واي رجل هذا الذي احسست به يذوب اليوم وجدا ، ولا يكتم فرحته بالامل الغائب العائد الى قلبه ، وبالسعادة التي فجرت فيه ينابيع الوفاء !

فلعلي ، لو اعتذرت اليه ، واستجرت به من عتابه ، احس انني لم اذنب ، وغفر لي اساءة ما اقترفتها بحال!

وثقي ، يا اغلى الاحبة ، ان مكانك في القلب لن يتزعزع . ثم ثقي انني ، لو كنت بعد في اول الطريق ، لكنت حدثت نفسي بالانسحاب ، حاملا في الخاطر نجيع الذكريات !

اما وقد كان ما كان ، وانسكب ضياء عينيك في ضياء عيني

واتحدت بروحك روحي
فعبثا يبحث القلب عن سبيل اخر !
اني وجدت فيك قدري ، وغدوت حقا خادم هيكلك
يا ندية البوح ، وشجية الامنيات !

فوزي عطوي

الشاعر ألبير أديب والشعر الطلق

بقلم اسماعيل عامود

* * *

سراب

الى التي
كانت لي واحة
مخضرة ، ريانة ، رقراقة ،
افقت على فيئها ،
بعد غفوة في صحراء
تهت عمري بها
احرقت شمسها
قلبي وقدمي
فلما تعرفت الى الواحة
نسيت عربدة الوحشة
في جنون السراب المضني
وقلت
آمنت ، برب ذرة رمال الصحراء
وكانت غفوة في الواحة
وفي الحياة غفو كثير
فلما افقت
لم تكن الواحة ،
ولكن تكن الصحراء
فليتني بعد
في جنون السراب المضني
او ليتني بعد
على قدمي الواحة !!

البير اديب

ــ عن مجلة « الاديب » ــ بيروت
تشرين الثاني ١٩٤٣ ــ م

● الشعر الطلق ، تسمية ، حديثة ، انسحبت على الشعر المنثور ، منذ كتب الشاعر البير اديب ــ اول قصيدة ونشرها في مجلة « الاديب » التي انشاهــا واصدرها اول العام ١٩٤٢ م ومـا يزال ، وربما قبـل هذ االتاريخ .. بعدها اخذ النثر الشعري ــ النثر الفني النهضوي ــ عصر النهضــة العربيــة ــ يلبس صفات وتسميات شتى .. آخرهـا « قصيدة النثـر » اليوم . ومهما يكن .. من هــذه ، وتلك من تحديدات لهوية هذا الجنس الادبي ، فان الشعر ــ الحـر ــ المرسل .. اي « النثر الشعري » منذ امين الريحاني وجبران خليل جبران وخليل شيبوب في مطلـع القرن العشرين ، كان قد دخل فنون الادب العربي الحديـث واستقبلته الدوريات والمجلات مرحبة ، تعتني بنشره ، وتفرد له امكنة بارزة على صفحاتها . كما ان القارىء العربي ــ المتلقي ، اخذ يستسيغ هذا النوع ، وان كان قد تحفظ تجاهه لانــه لم ينتظم في قـالب الاوزان العربية الموروثة .. الا انـه من طرف اخر وجـد فيه صـورا واخيـلة جميلـة توحي بالهدوء تارة ، وتـارة اخرى تنقله الى عالم عذب في مفردة منتقاة سليمة السبك العربي رافدة للنثر المعروف في المرحلة اياهـا .. ومع مرور الزمن ، وانفتاح الامة العربية عـلى آفـاق الآداب العالمية وخاصــة بعـد الحرب العالميــة الاولى وتحرك الشعب العربي في اقطاره كافة باتجـاه التحرير والاستقلال واثبات الوجود الحضاري للامة العربية .. ومقارعة الاستعمار في شكليـه الاحتـلالي والانتدابي ، اخذ هذا النوع الادبي يوسع دائرته ، ويعمـق وجوده ، وقد تهيأ له مـن الكتـاب البارزين مــن دفعـه الى الواجهات الادبية بعد ان تمرس هؤلاء بفنـون الكتابة ، وتغلغلوا في دراسـة الآداب الاوربية والعربية التراثيـة فتكونت لديهم ثقافة جيدة خصوصا وانهم اتقنوا لغـة اجنبية الى جانب لغتهم الام ، فجاءت اعمالهم في هــذا اللون الشعري النثري ذات قيمة لا يمكن انكارها ما دامت رافدة للالوان الادبية الاخرى ، ولا تضر بغيرهـا ، ان تكون بديلة لما هو موروث وخالد في دنيا ادبنا العربي الشامخ .. انما يمكن اعتباره تطويرا للكتابة التي تدور موضوعاتها في المجال « الشعري » اكثر من المجال « النثري » كالقصة والمقالة وغيرهما من الاجناس ..

وان كان هذا النثر الشعري قد نسج في مرحلته الاولى على انوال النجـوى والاسى والذكرى ومـرارة الآهات .. فانه في مرحلته التالية وبدءا من نهايــات الثلاثينات ــ ان صح التحديــد ــ اكد شخصيته بـل عمقها وادخل في جسدها دما جديدا ، من خـلال معانـاة حارة استوت في اعمال الشاعر البير اديـب ، وبخاصة في مجموعته الشهرية الطلقـة الطليقـة « لمن » التي صـدرت عن دار المعارف في جمهوريـة مصر العربيـة عام ١٩٥٢ ــ م .

ان البير اديب ، طليعي ، ورائــد لهذا الشعـر النثري في مضمونه وشكلـه الحديـث .. وبـدءا مـن مجموعة « لمـن » اخذ يطلق على الشعر المنثور تسميـة ــ الشعر الطلق ــ وصنفه بعض النقـاد بـل اكثرهم

ضمن اعمال المدرسة الرمزية .. انه شعر حر طليق ليس له وزن ولا قافية ، فليس كل موزون مقفى شعرا ، وليس كل منثور منفلت .. ادبا .. او كتابة. فكتابات (بول كلوديل) لا تضبط بوزن وقافية ورغم ذلك بل لاجل ذلك سيثبت كلوديل في صفوف اعاظم الشعراء الخالدين .. والشاعر الاسباني خيمينيس ايضا .

● لقد كانت مجموعة (لمن) صوتا جديدا حقا في عالم الادب ان لم نقل في عالم الشعر ككل ــ واطلب هنا العفو من شعراء الوزن ــ واحتفلت بها الاوساط الادبية كافة ليس لان مؤلفها صاحب مجلة مرموقة ومتقدمة ومنتشرة وغراء .. بل لان مضمون المجموعة الشاعر منه والشعري على حد سواء كان قد جذب اليه المهتمين بالادب حتى التقليديين منهم ، وكذلك القراء العرب في اكثريتهم ... واولئك الذين نضجت عندهم عملية القراءة والمطالعة والاستنتاج والفرز والتذوق العالي ولم لا .. ما دام الشعر همس النفس في اعمق اختلاجاتها . انه لا يدفع لنا بالفكرة في تعبيرها الصريح عن ذاتيتها . هو يرشدنا الى ثنايا آفاق وطيات اجواء ، وعلينا ان نلحق بالشاعر فنشاركه التحليق والسبر والتنقيب (١) . ان الرمزية التي اعتنق مذهبها البير اديب هي رمزية غامضة لدرجة العماء .. وهي غير جامحة منفلتة لا يخفف من انطلاقها او يضبطها شيء .. انما هي رمزية خاصة غنية بالمعاني ، غنية بالصور تنفتح الواحدة في (الشعر هذا) عن عوالم جديدة .. هذه العوالم التي كرس البير اديب كل جهده الثقافي وهمه الفكري باتجاه ترغيب الآخرين بها واغرائهم بالدخول اليها بكل نفس مطمئنة ، ذلك لانها بالفعل عوالم شعرية امينة ولغتها اصيلة موروثة من الاب والام العربيين وذات جذور عميقة متغلغلة في الارض .. وليس لزاما علي ان اتكلم اكثر خوفا من المبالغة في القول لدرجة الانتفاخ .. فان استعراضا سريعا لصفحات الدوريات والمجلات التي كانت تصدر في الخمسينات ، يظهر صحة قولي المكتوب هنا ــ حول « لمن » والبير اديب (ويشهد الله اني غير مشترك بمجلة (الاديب) منذ اول عدد الى آخر عدد يصدر اليوم ، ولم ازر شاعري الكبير البير في بيروت الا مرة واحدة عام ١٩٧٤ على ما اذكر) وانما اطالع شعره الطلق واعود اطالعه كلما تلبسني جوع المطالعة والقراءة للاعمال الجيدة العالية ذا تالتأثير الشديد والاصالة الادبية الباقية .. التي تظل تلح في اعماق الذاكرة بأثره النبيل .

● ورمزية ، البير اديب ، صوفية ، شفافة مثلها ــ مثل رمزيات العرب القدامى ، « واعية تلف الكون بلفته الى كنهه ، وتغمره بفيض من حنانها البكر الصافي !.. هي فرح كامل حتى في عمق بأسائها، لانها تعرف كيف تستشف من قلب الاحزان دربا الى النور ، وكيف تسمو على الادران ، وتذرف دمعة الحنان وتغسل آلام البشر ، وتمسح جبين الابد المظلم !... وهي طفولة حيية ، تعابث الكون ببراءتها ، وتجعل منه ابتسامة مديدة الامل ، وما اظن الابتسامة كشف عن ثنايا ، وانما هي طهر في الصميم ، ونبل في مطاوي الروح :

« ويخشع قلبي لانشادك
ثم اغمض عيني في انغامك
فترى نفسي آفاقا جديدة
تتلقن فيها معنى الجمال
وافتح فؤادي لسماعك
فينسى حاضره
ويتيه في مجاهل اللانهاية
طفلا يجمع الازهار »

ــ البير اديب ــ (٢)

وصوفية البير ليست انطوائية بعيدة لا تمس هموم الشعب ، ولا تعيش في صميمه ، وانما هي قريبة من الجماهير ، بل تحيا في صفوفها .. (قصائد : حياتنا، اشباح من الناس ، لمن ...) كذلك ، ليست لغوا ، وتبتلات غارقة في ضبابيات الدخان ، والبخور .. بل هي ابتهالات مشرقة في محراب الحياة .. ورمزية الشاعر في مجموعته (لمن) متطورة ، وقد احدث ضجة ادبية عندما نشر مقطوعته « انت » في (الاديب) ــ عام ١٩٤٧ فكتب الادباء والقراء الكثير من المقطوعات والرسائل من وحيها ، ونظموا قصائد عديدة كلها مرفوعة الى (انت ، البير اديب) والى « ظمآنة » البير اديب منهم على سبيل الذكر المرحوم الشاعر الرمزي : صلاح الاسير.

● وبعد : سيظل : البير سعيد بطرس اديب ــ نموذجا حيا وحقيقيا ورائدا للشعر الطلق الرمزي في ادبنا العربي الحديث ــ والمعاصر .

---

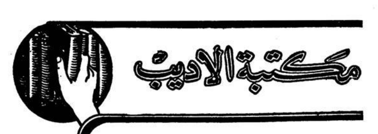
(١) مجلة « السنابل » اللبنانية عام ١٩٥٢ ــ الكاتب مارون مرعي

(٢) جريدة « كل شيء » عام ١٩٥٢ ــ بيروت ــ الاستاذ الشاعر انعام الجندي .

● من بين الذين كتبوا عن « لمن » المرحوم جورج صيدح من باريس ــ ومجلة « اليقظة » في بغداد ، والنهضة في تونس والليبي في طرابلس الغرب والاستاذ الشاعر ابراهيم العريض في صوت البحرين « البحرين » والمرحوم الدكتور زكي المحاسني في « الثقافة » القاهرية ١٩٥٢ والاستاذ عبد الغني العطري في مجلة « الدنيا » دمشق ..

مجلة الثقافة الاسبوعية ــ دمشق

اسماعيل عامود



الرسالة البغدادية
لابي حيان التوحيدي (؟!)

تحقيق الاستاذ عبود الشالجي (دار الكتب ـ بيروت)

تفضل الاستاذ الجليل المحقق فاتحفني بهذه « الطرفة » ، وقد كنت عرفتها منذ سنين طوال باسم « حكاية ابي القاسم لابي المطهر بن احمد الازدي « البغدادي » ، وهذا المصنف نجهله لم يقف منه اهل العلم على معرفة اكيدة فهو رمز من الرموز ، وجنة يختبىء وراءها « فلان » من خلق الله . أأبا حيان التوحيدي كان هذا « الازدي » ام احدا آخر من الناس ؟

لقد أراد الاستاذ الشالجي ان يكون « الازدي » هذا ابا حيان فذهب الى ذلك مذهب اليقين واثبت ان الكتاب :

تاليف (كذا) ابي حيان علي بن محمد التوحيدي .

اقول : لقد نشر الكتاب نفسه الاستاذ الالماني آدم متز سنة ١٩٠٢ في هيدلبرج في المانيا ، ولم يصنع صنيع الاستاذ الصديق الشالجي عملا بما يرى ان العلم يفرض عليه ذلك . ولقد اشار الاستاذ الشالجي الى نشرة آدم متز واثنى عليه .

ثم ان نشرة الاستاذ آدم متز كانت قد وسمت بـ « حكاية ابي القاسم » اما نشرة الاستاذ الشالجي فكانت «الرسالة البغدادية» ، ولم يشر الى السبب الذي حداه الى ان يجعل اسم الكتاب « الرسالة البغدادية » بدلا من اسمه في النشرة الالمانية ، وهو « حكاية ابي القاسم » . لا ادري ، لعل في المخطوط شيئا دفعه الى هذا العمل، او انه وجد في المظان ان هذا هو الاسم الصحيح ! ولكن كان من حق القارىء على الاستاذ المحقق الشالجي ان يعرف سبب هذا الاستبدال. غير ان شيئا من هذا لم يكن ، فلم يشر المحقق الى شيء من ذلك .

ولنقصر ، فما علينا من ذلك ، وليكن الكتاب « الرسالة البغدادية » وليس « حكاية ابي القاسم » . ولكن في نفسي شيئا مما يتصل بنسبة الكتاب الى ابي حيان ، ومسألة استيقان المحقق من ذلك حتى اباح لنفسه ان يثبت اسمه على الكتاب في هذه النشرة الاخيرة .

اقول : لقد عرض ياقوت في « معجمه » الى ان هذا الكتاب من وضع ابي حيان التوحيدي ، وانه استخفى باسم ابي المطهر الازدي لما اودع من العبث واللهو والمجون .

ولا ارى ان تؤخذ مقولة ياقوت حجة تتسم بشيء من قوة في اثباته هذا الزعم ، ذلك ان ياقوت الرومي المتوفى سنة ٦٢٦ للهجرة الشريفة لا يمكن ان يعتمد في شيء من هذا لامر حدث قبل عصره بما يقرب من مئتي سنة . ثم ان من جاء بعد ياقوت افادوا منه فاعادوا هذا الزعم : وليست حجة ياقوت في اثباته هذا الزعم غير ما ذهب اليه المحقق الفاضل في ادلته وحججه ، التي ستأتي اليها .

ولا ادري لم اغفل المحقق الفاضل ذكر الدكتور مصطفى جواد ـ رحمه الله ـ الذي كان اول من اعاد هذه المقولة في عصرنا هذا ونشر في هذا مقالة في احدى المجلات العراقية غير المعروفة واظنها مجلة مجلس الاعمار قبل سنة ١٩٥٠ او بعدها بقليل ، ويؤسفني اني لم استطع ان اقف الان على المجلة المذكورة ولكني اذكر انيقرأتها وقد علق الخبر ومادته الجليلة في ذهني .

وقد اشار المحقق الى ان الدكتور عبد الرزاق محيي الدين قد اشار في كتابه عن « ابي حيان التوحيدي » الى ان « الرسالة البغدادية » مع صنع التوحيدي ، مع ان المحقق الفاضل قد ذكر ان الدكتور عبد الرزاق محيي الدين لم ير الرسالة ولا عرف انها منشورة منذ سنة ١٩٠٢ ، ان هذا يعني ان الدكتور عبد الرزاق محيي الدين اما ان يكون قد اعتمد على ما ذكره ياقوت في « معجمه » واما ان يكون قد تأثر بما كتب الدكتور مصطفى جواد ـ رحمه الله ـ ولم يشر اليه .

ثم آتي الى الحجج التي بنى عليها المحقق ما ذهب اليه من ان «الرسالة» هي من مصنفات التوحيدي . قال الاستاذ المحقق ـ حفظه الله ـ في مقدمته ص ٩ :

ان اجزاء من هذه الرسالة ، قد اثبتها التوحيدي في مؤلفاته الاخرى ، فان حديثه عن المغنيات البغداديات قد اثبته في هذه «الرسالة» ، ثم نقله بنصه وفصه الى كتاب « الامتاع والمؤانسة » فاستغرق فيه فصلا كاملا ، يقارب العشرين من الصفحات ، كما اثبت في هذه « الرسالة » وفي كتاب « الامتاع والمؤانسة » بالنص ، الخبر الذي ذكر فيه انه وجماعة من اهل الكرخ، قاموا في السنة ٣٦٠ باحصاء المغنين والمغنيات بجانبي بغداد ، مما يدل على صاحب « الرسالة » وصاحب « الامتاع والمؤانسة » شخص واحد ، وهناك كثير من الاخبار والاحاديث التي وردت في « البصائر والذخائر » ، وردت بالفاظها ، بشيء من التحوير في هذه الرسالة ...

والمناظرة التي اقامها صاحب « الرسالة البغدادية » بين بغداد واصبهان ، دليل آخر على انها من تاليف التوحيدي ، فهو في الرسالة يمدح بغداد ، دار صباه وفتوته ، ويذم اصبهان التي اقام فيها ثلاث سنين فما حمد منها شيئا ، ثم غادرها غاضبا على من فيها ، واولهم الصاحب كافي الكفاة ، وها هنا فائدة اخرى ، وهي ان بحث التوحيدي عن اصبهان يدلنا على انه كتب هذه الرسالة ، بعد مغادرته لها في السنة ٣٧٠ ، ولعله الفها في السنة ٣٧١ ، وهي السنة التي اشتغل فيها بالنسخ ...

ونقل الى الرسالة اخبارا كان قد اثبتها في كتابه « البصائر والذخائر » .

انتهى كلام الاستاذ المحقق .

اقول : وكيف جاز ان يكون هذا دليلا على ان المصنف للرسالة هو ابو حيان ؟

الا يجوز ان احدا من الناس من اهل العبث واللهو والمجون ، او من اهل الجد اراد ان يتعابث فصنع الكتاب ، واقتبس شيئا من مادته مما جاء في « الامتاع والمؤانسة » ومن « البصائر والذخائر » لابي حيان لما وجد من قريب في الموضوع ، ولما له صلة بما جاء في كتابي ابي حيان ؟ الا يجوز ذلك ؟

فاذا جاز ذلك ، او قل ، لا بد من التفكير به ، الا يسوغ جماع الامر ان نذهب مذهب القطع والتقرير فننسب الكتاب الى ابي حيان ، نحن اهل هذا العصر الحاضر ! الم يكن من الحق ان نكتفي

بعرض ما نراه في المقدمة ولا نقطع بشيء من هذا !

اقول : وليكن لما قلت من ضعف الحجة ما يكون ، واني افترض كما افترض المحقق ، فهلا ننظر الى الكتاب ونفحص مادته لنوازن بين مذهب هذا العابث المكنى بابي المطهر الازدي وبين مذهب ابي حيان وكتبه ظاهرة كثيرة .

لا ادري كيف فات المحقق الفاضل ان نهج هذه « الرسالة » او « الحكاية » نهج عامي عابث دارج ، يبتعد كل البعد عن نهج ابي حيان في نهجه الفصيح ، بل قل : في نهجه الذي قل ان تجد في العربية الفصيحة المليحة الانيقة ما يعدله . هلا قرأ صديقي الاستاذ المحقق كتاب « الاشارات الالهية » فعرف هذا السمو في الكتاب فكرا واسلوبا ، ومن اين يتاح لصاحب هذا الابداع الفني ان ينحط الى هذا الدرك من العامية المتسمحة المبتذلة اللاهية الماجنة ، التي تانس لعبث ابن الحجاج في سخفه وقبحه ومجونه غير المحدود ؟

نعم ان في هذه اللغة العابثة الماجنة فوائد تاريخية ، كما ان في جملة الكتاب فوائد تاريخية وحضارية اخرى عرض لها المحقق في « مقدمته » ، بل قل : ان المحقق اعجب بمادة الكتاب وما يقدم من فوائد حضارية تتصل بالبغداديين وحياتهم الجادة والعابثة ، واسلوب معيشتهم واستحسان طرائقهم ، وتفضيلهم على غيرهم من الاجناس . وفي كل هذا عرض لمواد كثيرة منها حاجات منزلية واخرى تتصل بالمآكل والمشارب والفواكه والعطور والرياحين ومظاهر الترف المختلفة . لقد احسن المحقق في عرض هذه الفوائد في مقدمته واشار اليها اشارات وافية . ومن عجب ان المحقق قد اثنى على «الرسالة» ومادتها وطريقة تصنيفها ، في حين انه حمل على مؤلفها « المزعوم » اي التوحيدي فوصفه بما يكره ويسوء ، واشتد في هذه الحملة ونمته بنعوت اقلها يسقط المروءة .

لم ارد هذا فقد يكون في ابي حيان ما يحب ويكره ، والمحقق على حق ان يميل الى التنوخي والصاحب بن عباد وغيرهما فيجد فيهم الفضل والمروءة ولا يجد شيئا من ذلك في التوحيدي مثلا . ومن الحق ان اقول : ان المحقق الكريم قد بذل من الجهد في التحقيق والفوائد ما يستحق الحمد والثناء ولا سيما في تعليقاته على الغرائب التي ترد في الكلم العامي والدخيل والمعرب والفوائد التاريخيةالاخرى.

ومن المفيد ان اعرض لشيء من مادة الكتاب مما يتصل بجملة الفاظ فاقول :

١ ـ جاء في الصفحة ٥٣ قوله :

فيقول حينئذ (كذا) ....

وقد علق المحقق الفاضل على كلمة « حينئذ » هذه فقال : وقد اسلفنا ان البغداديين يبدلون الهمزة في وسط الكلمة واوا او ياء .

اقول : هذا باب يدعى في « اللغة » تسهيل الهمز ، وليس هو خاص بالبغداديين ولسانهم العامي الدارج ، فهو في الالسن الدارجة لكل العرب اينما كانوا ، فليس الامر خاصا بالبغداديين . ثم انه وارد في فصح العربية ايضا ربه قرىء كثيرا في التنزيل العزيز ، وحسبك ان تنظر في كتب القراءات المعتمدة والشاذة لتجد صدق هذا . ولا يتصل الامر بابدال الهمزة واوا او ياء فقد تبدل الفا ، وهذا كثير كما في رأس وراس وبئر وبير شؤم شوم ، على ان في هذا الابدال شروطا في اللغة الفصيحة كان تكون الهمزة ساكنة .

ثم ان الكلمة « حينئذ » قد تكون عامية ، وهي عامية حقيقية ، ولكني اريد ان اقول ان الهمزة قلما ترسم في المخطوطات القديمة فظن طائفة من المحققين ان الهمزة غير موجودة فاثبتوا الياء او الواو او الالف ، والحق ان تثبت الهمزة ولم يرد المصنف القديم صاحب المخطوط « تسهيل الهمزة » . وقد حدث شيء من هذا في اشعار كان حقها ان تهمز في هذا الكتاب كما الصفحة (٦٠٨) كقول احدهم:

احسبه ما فيه الا فايده (كذا) — يشرب حبا ويعري مايده (كذا)
آكل خلق الله للعصايد (كذا) — ويمضع اللحوم بالثرايد (كذا)

٢ ـ وفي الكتاب من الفوائد التاريخية مما يتصل بالعربية البغدادية او العراقية الشيء الكثير ، ومن ذلك ما يعين على فهم كثير مما ندرج فيه الان في بغداد او غيرها من الحواضر في العراق من الكلم العامي .

فمن ذلك مثلا اقرأ فيه : « بارد والله ، ما اشه ، الحقوني بمجمرة نار » .

اقول : ان « اشه » هذه من الاصوات التي يرددها العراقيون ولا اقول البغداديين وحدهم عند الشعور بالبرد الشديد .

أعود فاقول : لقد صنع الاستاذ المحقق صنعة جليلة في تحقيق هذا السفر الممتع ذي الدلالات الكثيرة والفوائد المختلفة ، وان في اضافاته في حواشيه وتعليقاته غناء اي غناء .

كلية الآداب ـ جامعة بغداد — ابراهيم السامرائي

* * *

كبرياء

ديوان للشاعر شوقي هيكل ـ ١٠٢ صفحة ـ مطبعة الفجالة الجديدة بالقاهرة

ناظم هذا الديوان من جماعة الشعراء الذين يعتزون بفنهم ، ويثقون في اصالتهم وهذا ما دعاه ان يطلق على ديوانه « كبرياء » . كبرياء على هؤلاء الذين يظنون ان الشعر سهل وقصير سلمه ، ومعذرة للحطيئة الذي قال :

الشعر صعب وطويل سلمه — اذا ارتقى فيه لا يعلمه
زلت به الى الحضيض قدمه — يريد ان يعربه فيعجمه

ويعرف صاحب الديوان الشعر بانه :

والشعر ديوان خلد حين نبسطه — على الزمان نرى للمجد ساحات

وهذا التعريف ناقص في زعمنا ، لان الشعر يشتمل على مختلف نواحي الحياة والنفس، والتسجيل التاريخي بالشعر احدى موضوعاته. ولكن الشاعر تجاوز هذا التعريف ، وتناول في قصائده عالم الفؤاد ، وخطرات النفس في الحياة والناس والطبيعة ، بل لعل موطن الروعة في هذا الديوان هو ادراك صاحبه لمعالم الوجود من جمال وقبح ، وقيم الانسان من خير وشر ، وطبيعة النفس من اقبال وادبار ، ادراكا ذهنيا ووجدانيا ينتهي به الى التامل والتفلسف ، واستخلاص الحكمة الهادية .

وقصيدة « فارس الغيب » يعبر فيها عن تاملات الانسان وحيرته وجهله وخوفه وعلمه وتمرده ورفضه واستجابته وخداعه وخسرانه ، ونقف على معاناة الشاعر ، ونعاني معه كل موقف من هذه المواقف فيقتنعا حينا ، ونرفض ما اقتنع به حينا آخر ، ويذكرنا في هذه القصيدة بمعان سبق اليها آخرون ، ولكن سبق غيره لا يعني اخذه عنه ، وانما نذهب الى انه تامل مثلهم ، وانتهى الى ما انتهوا اليه من نتائج وتساؤلات .

أليس المعنى الوارد في المقطع من قصيدته :

فارس الغيب تمهل لست فينا الداهية
ان قوس العقل عند الغيب قوس نابية

قبلك الفرسان عـادوا بـرؤوس عانيـة
حين كـروا ثم فـروا في نفـوس خاشيـة
ووجـوه كاسفـات وعقول ذاويـة

قريبا من معاني سفر الجامعة حيث وجه الجامعة قلبه للسؤال والتفتيش ليعرف الحكمة والحماقة والجهل . وينتهي فارس الغيب بعد ان كل من البحث الى ما انتهى اليه الجامعة من الدعوة الى العيش في الدنيا وقبولها على حالتها الراهنة يقول الجامعة (الاصحاح ١١) « النور حلو وخير للعينين ان تنظر الشمس لانه ان عاش الانسان سنين كثيرة فليفرح فيها كلها » « افرح ايها الشاب في حداثتك وليس قلبك في ايام شبابك واسلك في طرق قلبك وبمراى عينيك . واعلم انه على هذه الامور كلها ياتي بك الله الى الدينونة » .

وهذه التساؤلات الواردة في المقطع التالي من القصيدة هي بعض الاستفهامات التي راح يستفهم عنها ايليا ابو ماضي في قصيدته الكبرى « طلاسم » . يقول الشاعر في « فارس الغيب » :

ايها السائـل فينـا عن امـور خافيـة
نحن مـا نحن ؟ جسـوم ام رسـوم بالية
امثـال ام خيـال ام ظـلال حاكيـة

والشاعر في هذه القصيدة يشير ولا يرمز .

والاشارة الى الشيء هي ذكر بعض خصائصه ، او ذكره مقرونا بقليل من التفاصيل ، ومن ثم لا تحتاج الاشارة الى التاويل او التفسير ، ولا ينتج عنها خلافات في الراي .

اما الرمز فان الشاعر يستخدمه ولا يبين عنه ، ويبني عليه ، ويتركه للقارىء ليجتهد فيه ، ومن ثم تكثر التاويلات ، وتتعدد التفاسير وتتعدد التفاسير ويختلط الخطا بالصواب في جو الرمز الغامض ، والرمز يقتضي تتبعه واستقصاء ابعاده التاريخية او الفلسفية ، والتعرف على مضامينه الاجتماعية ، والتفتيش في كتب التراث وعالم الاساطير على مدلوله ، وهي عملية فيها من المشقة ما فيها ، وقد لا يتمكن القارىء من معرفة كل ذلك مما يترتب عليه عدم الاندماج مع عناصر القصيدة واستيحاء معانيها ، ويصير العمل الشعري في ذهن المتلقي بطيء النماء ، ضعيف النبض ، فاقد البريق ، وهكذا تضيع قيمة الابيات الفارقة في الرمز الملفوفة في الغموض .

فاذا قلنا ان الشاعر يشير ولا يرمز ، فاننا نعني ان تعبيره واضح الدلالة ، مع ايجازه ، وليس غامضا معقدا ملتويا ، يحتاج الى ابانة وافصاح وشروح. وديوان الشاعر حافل متنوع الالوان، متعدد الشكول، تضطرد فيه الحالات الشعورية، للتجربة فيه نصيب، وللخيال الخلاق نصيب ، وان الشعر الجيد ليس هو نتاج التجربة الصادقة والاحساس العميق بها فحسب ، ولكن على النقاد ــ الذين يمتدحون الشاعر المعبر عن تجربة واقعية ــ ان يدركوا ان للخيال دورا في الابتكار ، واضافة بعض المواقف التي لم يجربها الشاعر في حياته لان الشاعر المبتكر قادر على ابداد الصور الادبية من عالم خياله ، حيث يصور مشهدا تصويرا رائعا كما لو كان ماثلا بالفعل امامه ، ونجد فيه الترابط الفني بين الصور ، والترابط بين المواقف النفسية

الاديب

لا تقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ٣٥ ليرة لبنانية

●

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل.ل.

●

في الخارج العربي : ١٠٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

سائر الاقطار :
٥٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية : ١٠٠ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج ٣٠٠ ل.ل. أو ١٠٠ دولار كحد ادنى

●

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء انشرت ام لم تنشر
للاعلان تراجع ادارة المجلة

●

الادارة : ٢٢٣٨١٩ — Dir. 223819
المنزل : ٢٢٥١٣٩ — Dle. 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب ــ صندوق البريد رقم ٨٧٨ــ١١
بيروت ــ لبنان

●

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

والترابط الموضوعي في المشاهد .

يجمل الشاعر تجاربه العاطفية موضوعات لشعره ، فما زالت العواطف الانسانية هي الموضوع الغالب في الاداب والفنـــون ، وفي قصيدته اول همسة يشكون من عدم بوح حبيبته يقول :

بوحي بحبك.. صارحي، لا تحبسي   انفاســه قهــرا وجهــد عنــاء
لا تظلمي قلبي وقلبــك واعــدلي   فالحب فوق القهــر والاخفــاء
بوحي بحبك واعطني ثقة الهوى   فانا جديــر منـــك بالاعطـــاء

فحبيبته تكبت القدر الاعظم من مشاعرها ، وتقاوم الدوافع التي تثيرها الى البوح ، وتنظم مواقفها ، وتغالب جيشان الحب في صدرها، وتكتم ما في طواياها ، وتحقق ثباتا ، وياخذ سلوكها طابعا يبعث على الاثارة والتشويق ، وتنتظر من حبيبها وضوحا في مواقفه ازاءهـا ، وتعبيرا صريحا مكرورا عن هواه تجاهها ، فاذا الفت ذلك انتقلت من الكتمان الفني ، الى التلميح بالنظر ، الى التصريح بالكلام ، وتساعد طبيعة كل منهما على اداء دوره ، فالرجل يحب ولا يعيبه الافصاح ، والمراة تحب وتقهر مشاعرها ، وتنتظر من الرجل الملاطفة والاعلان .

وربما كان مرد هذا الى شيئين : الاول هو شعور الانثى بان الترخص والاستباق الى البوح ، والتسرع في الاعتراف يقللان من قدرها في نظر عشيقها ، فتهون من حيث تنشد الاعلاء والاعزاز ، والثاني ان البيئة الشرقية والاعراف السائدة في الهيئة الاجتماعية تجعل المراة اكثر تحفظا ، واقل عطاء ، فلا تلاحق الرجل ولا تسبقه في اظهار ما يعتمل في نفسها .

ولنتامل قصيدته « رجعة الحنين » يقول :

وعلى الضفاف هنا جلسنا فوق صخرة   نسترسل الالحان في سمع الظلام
نظم الوجود على بريق اللحن دره   وتوشحت بالعطر انسام السلام

ورنا الغدير بنظرة الخيــلاء   وتراقصت امــواجه الخضراء
والبدر في الافاق عزف ضياء   ومسارج الليل ازدهاء وابتسام!

فلا يجد فيها القارىء العادي سوى الانسجام وجوا من الاحلام، في ظل الالحان ، وفي سمع الظلام ، ورنو الغدير ، وتراقص الامواج ، وعزف الضياء ، حينما يقراها لاول مرة ، ولكن اذا اعاد الكرة وعايشها وتاملها ، وقدر اخيلتها تحولت القصيدة الى مجموعة من الصـور المتجاورة ، والافكار المترابطة ، والايقاعات المنتظمة ، ثم لا تلبث ان تاخذ هذه الصور مع هذه الافكار في رنين موسيقي لطيف الايقاع ، وباقدار يعرفها الشاعر ، وينشا بين كل هذه الاشياء نظام يقـوي العلاقة بين هذه الوحدات ، فتصبح القصيدة ــ وقد ائتلفت فيهـا النوافر واتسق نظامها ــ قادرة على التعبير والايحاء ثم يتخيل القارىء ان الناقد بطريقة افضل ابعاد القصيدة ومحاورها الرئيسية في هـذا التنسيق الدقيق فتصير شكلا فنيا مكتملا بالعناصر الاربعة : الصورة، والفكرة ، والوزن والقافية ، ويحس بمودة بينه وبين هذه الخيالات والخطرات والايقاعات التي بعثها الشاعر وبثها في قصيدة لانهـا ملائمة للملكات المدارك ، وبهذه الطريقة يمكننا ان نعرف كيف نقرا القصيدة ، ان سقط الزند لا ياتي الا بعد القدح ، والاحاطة بالشعر لا يتاتى الا بعد التاملات المعمقة والقراءات المكرورة الدقيقة .

وكان حريا بالشاعر ان يفصح عن مشاعره ازاء معارك اكتـوبر الماجدة ، وصيحات التكبير والنصر ويستلهم معانيه من بطولات الجند ويستوحي موضوعاته من الاحداث التي يمر بها الوطن العربي ، ولقد دون الشاعر العربي منذ اقدم عصوره معارك البطولة والفـداء ، واستشرف احداثا جسيمة خالدة ، فلا جرم ان راينا الشاعر يسجل في ديوانه اهم انتصاراتنا في العصر الحديث باعتباره شاهدا علـى احداث وطنه الكبير وذلك في قصائده « صيحة النصر » « حديث الصمت » « غضبة الحق » « صحوة بعد كبوة » وفي هذه القصائد ياتي بخطرات الوطنية الصادقة ، مفتتحا معاني جديدة ، سنحت له في خلده فسطرها بلفظ طريف ، وقواف سلسلة لم تجلبها الضرورة يقول :

اسدل الدهر على الزيف ستاره   وجلا في الافق للحـق نهـاره
ها هنا مولد تاريخ جديـد   دار فيه الزمن الحر مـداره
وقف العالم في الحرب ظهيرا   عادلا يصنع للحـق ظهـاره
نحن للعـالم ارغمنـاه عـدلا   واضطررنـاه الى الحق اضطراره
كان قبل الحرب مخمورا غويـا   يجرع الزيـف ويلتذ عقـاره

اننا ننتقل من قصيدة الى قصيدة والشاعر ما زالت قريحتـه عذبة الينبوع ، دارة معطاء وهكذا يمضي الشاعر في قصائده متمكنا في مادته ، مطمئنا الى ما يقول ، وانني لم اتخير كرائم شعره ، ومفاخر اعماله لادلل بها على شاعريته ، وهذه النماذج التي اوردناها تـدل على سائر بدائعه الفنية ، وتنبه على قدره .

هذه جولة سريعة في ديوان « كبرياء » حيث زف الشاعر ابكار شعره الينا ، واجراها على قانون الشعر المالوف ، وبهذا تطمئـن النفوس الى منطقه وصلاحه ، وقد دفع الشاعر ديوانه الى القـراء دون مقدمة يبين فيها عن مذهبه الشعري ، وترك ديوانه يقـدم نفسـه .

احمد حسين الطماوي
القاهرة ــ المطرية
٥ شارع عبد المقصود ــ الزهراء